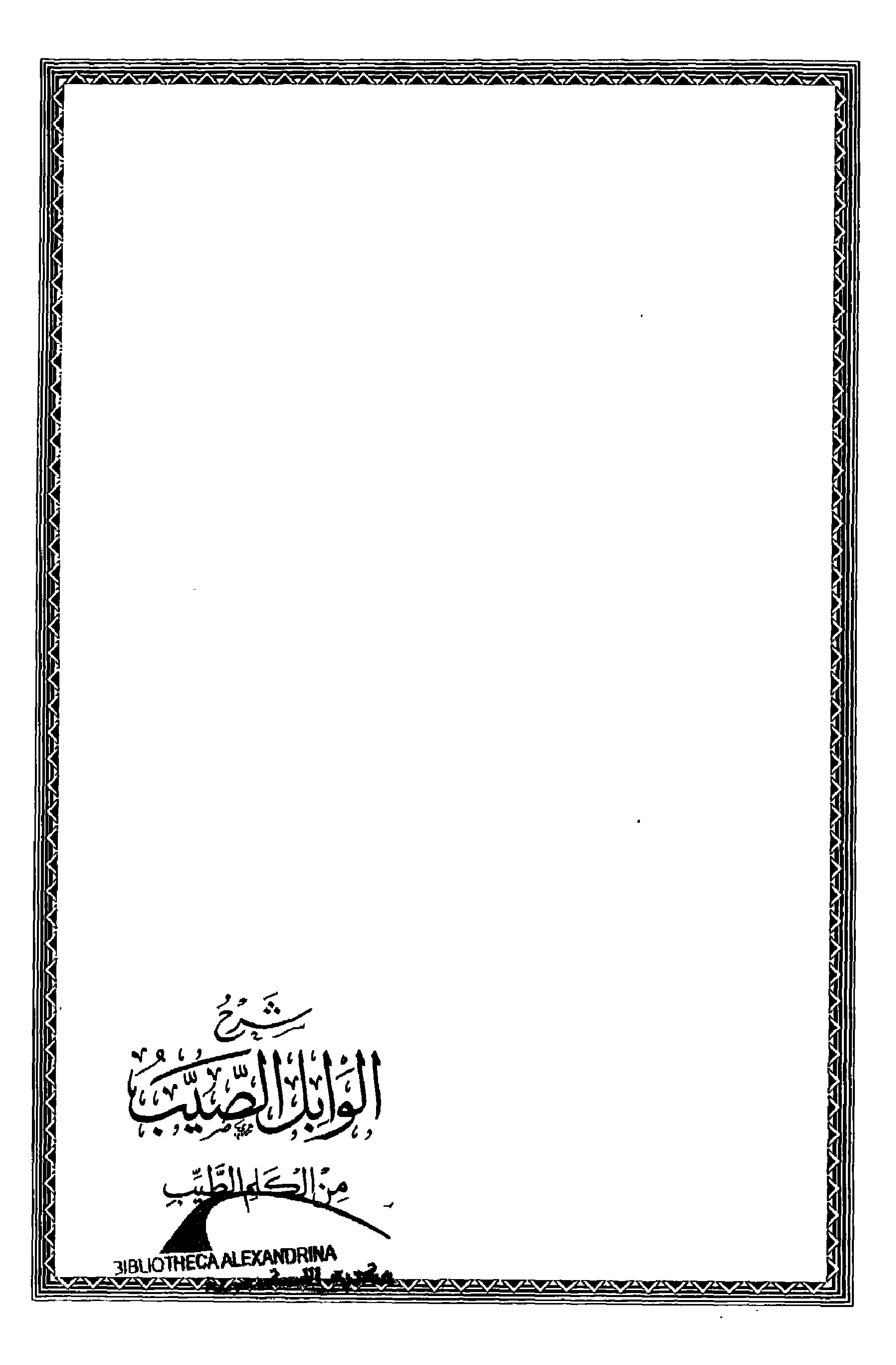
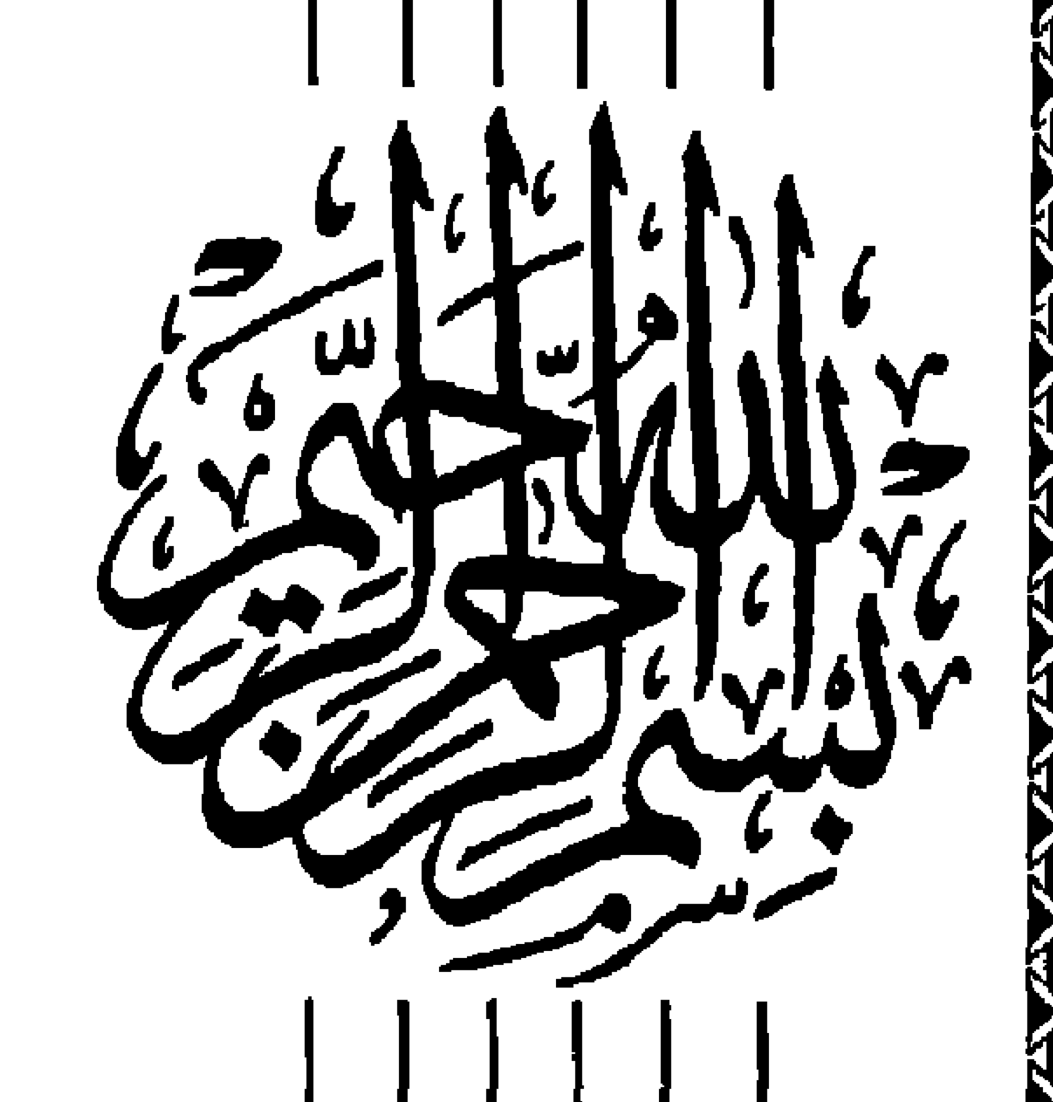

شرح
الوابل الصيب
من الكلم الطيب
تأليف
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن قيم الجوزية
شرح
سماحة الشيخ العلامة الإمام
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
طبعة مخرجة الأحاديث
دار الاستقامة


الدار
العالمية للتجليد
على النادى
٦٩٩٠٥٧٠
٠١٠٦٧١٠٠٤٦


الدار
العالمية للتجليد
على النادى
٦٩٩٠٥٧٠
٠١٠٦٧١٠٠٤٦


شرح
الوابل الصيب
من الكلم الطيب



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ١٧٨٦٣ / ٢٠٠٧م

دار الاستقامة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

محمول: ٠١٠٤١١٧٠٢٠ / ٠٠٢ - ٠١٢٧٤٨٣٢٦٣ / ٠٠٢

# شرح
# الوابل الصيب
## من الكلم الطيب


تأليف

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن قيم الجوزية

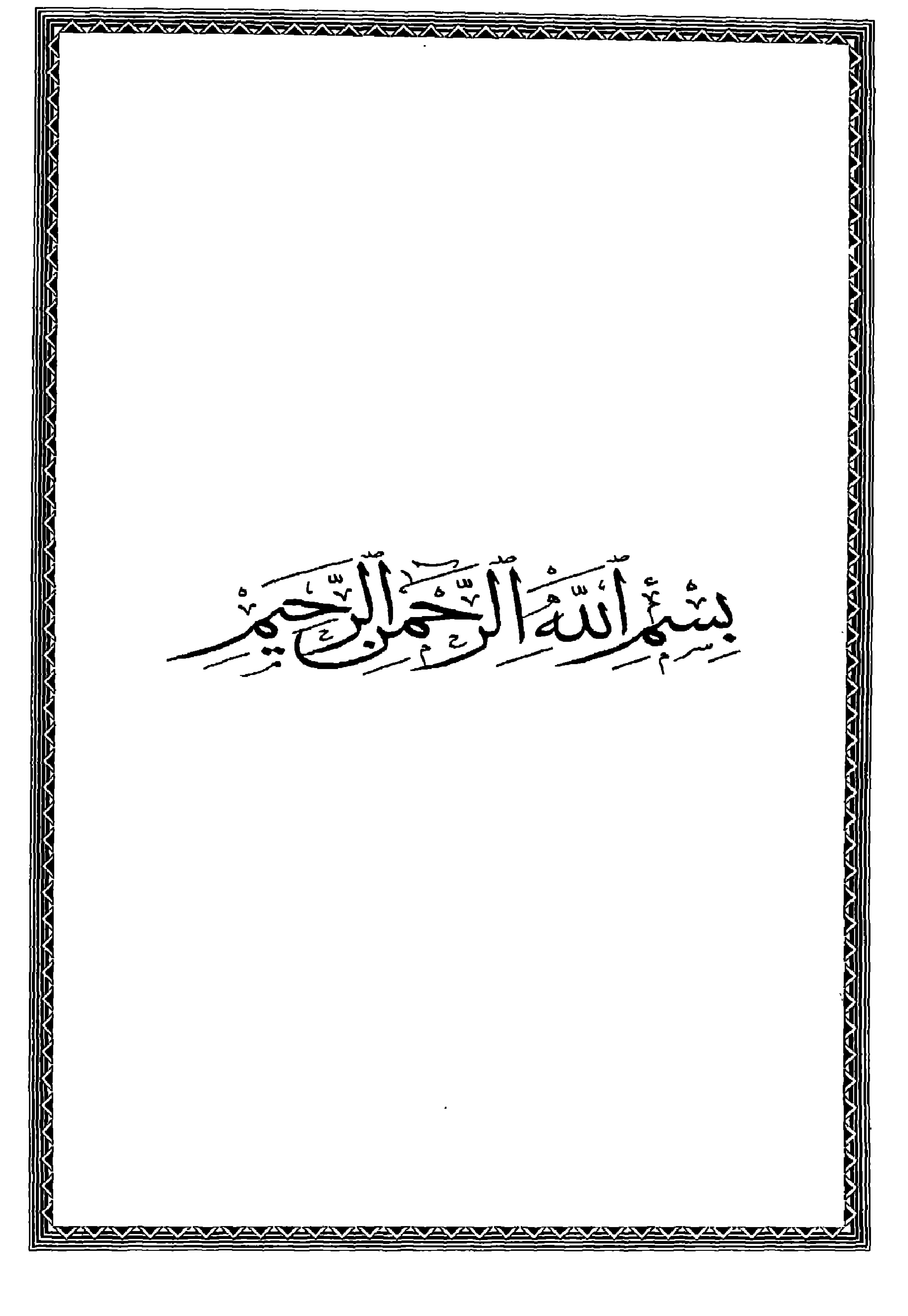
شرح

سماحة الشيخ العلامة الإمام
عبد العزيز بن عبد الله بن باز



طبعة مخرجة الأحاديث

دار الاستقامة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله تبارك وتعالى المسئول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم الله عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر؛ فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبدًا، فإن العبد دائمًا يتقلب بين هذه الأطباق الثلاث.

## الشكر والابتلاء

**الأول**: نعمٌ من الله تعالى تترادف عليه، فقيدها «الشكر»، وهو مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

**الثاني**: محن من الله تعالى يبتليه بها، ففرضه فيها «الصبر والتسليم».

**والصبر**: حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية: كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر ونحو ذلك.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله تبارك وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء، كما له عبودية في السراء، وله عليه عبودية فيما يكره، كما له عليه عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوتت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى، فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية، هذا والوضوء بالماء البارد في شدة

البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين.

فمن كان عبدًا لله في الحالين، قائمًا بحقه في المكروه والمحبوب فذلك الذي يتناوله قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]. وفي القراءة الأخرى: ﴿عباده﴾. وهما سواء؛ لأن المفرد مضاف فيعم عموم الجمع، فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [الحجر:٤٢].

ولما علم عدو الله إبليس أن الله تعالى لا يسلم عباده إليه، ولا يسلطه عليهم قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص:٨٢-٨٣]. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾ [سبأ:٢٠-٢١]. فلم يجعل لعدوه سلطانًا على عباده المؤمنين، فإنهم في حرزه وكلاءته وحفظه وتحت كنفه، وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللصُّ الرجلَ الغافل فهذا لابد منه؛ لأن العبد قد بلي بالغفلة والشهوة والغضب.

ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة، ولو احترز العبد ما احترز، فلابد له من غفلة، ولابد له من شهوة، ولابد له من غضب، وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق وأرجحهم عقلاً وأثبتهم، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه، فما الظن بفراشة الحلم ومن عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر؟ ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة على غرة وغفلة، فيوقعه ويظن أنه لا يستقيل ربه ﷻ بعدها، وأن تلك الواقعة قد اجتاحته وأهلكته، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله.

## الحسنة والسيئة

فإذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له بابًا من أبواب: التوبة، والندم، والانكسار، والذل، والافتقار، والاستغاثة به، وصدق اللجأ إليه، ودوام التضرع والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته، ولم أوقعه.

وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفًا منه مشفقًا وجلاً باكيًا نادمًا مستحيًا من ربه تعالى، ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة، ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها على ربه، ويتكبر بها، ويرى نفسه، ويعجب بها، ويستطيل بها، ويقول: فعلت وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه.

فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرًا ابتلاه بأمر يكسره به، ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده. وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه، فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق: ألا يَكِلَك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان: أن يَكِلَك الله تعالى إلى نفسك، فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وظلمها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده.

فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بهما، فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه.

**قال شيخ الإسلام:** «العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل».

## سيد الاستغفار

وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح حديث: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[(١)].

فجمع في قوله ﷺ: «**أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي**». بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل.

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وألَّا يرى نفسه إلا مفلسًا.

وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو باب الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقامًا ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه ﷻ، وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه -تبارك وتعالى- وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته، ولا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى.

* **والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها**: حبٌّ كاملٌ، وذلٌّ تامٌّ. ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين وهما: مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغفلة، وما أسرع ما ينعشه الله ﷻ ويجبره، ويتداركه برحمته.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس ﷺ.

## فصل استقامة القلب والجوارح

** وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه.

فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حبَّ ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه، وما أسهل هذا بالدعوى، وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبه كبيره أو أميره أو شيخه أو أهله على ما يحبه الله تعالى، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الحاكمة عليها المؤمرة عليها، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابَّه، وينغصها عليه، فلا ينال شيئًا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاء له على إيثاره هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى.

وقد قضى الله ﷻ قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئًا سواه عُذب به ولابد، وأن من خاف غيره سُلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك له فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولابد.

الأمر الثاني: الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه، قال الله ﷻ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]. قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة.

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي: هو ألَّا يعارَضا بترخيص جاف، ولا يعرَّضا لتشديد غال، ولا يحملا على علة توهن الانقياد.

ومعنى كلامه: أن أول مراتب تعظيم الحق ﷻ تعظيم أمره ونهيه؛ وذلك لأن المؤمن يعرف ربه ﷻ برسالته التي أرسل بها رسوله ﷺ إلى الناس كافة، ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله ﷻ واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن

لأمر الله تعالى ونهيه دالًا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر.

فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ على المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي ولا عن تعظيم الآمر الناهي، فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحسينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوات حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تُقُبِّلت منه صلاته منفردًا، فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا.

ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء يفوته في صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألفٍ وألفِ ألفٍ وما شاء الله تعالى؟!

فإذا فوت العبد عليه هذا الربح خسر قطعًا -وكثير من العلماء يقول لا صلاة له- وهو بارد القلب، فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالى ، أو فاته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه ، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة ، وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته، كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله ﷻ ، وكلما بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة وأخرى ترفع درجة .

## الخشوع في الصلاة

وكذلك فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرب ﷻ الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن

يهدي إلى مخلوق مثله عبدًا ميتًا أو جارية ميتة؟! فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره؟! فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد -أو الأمة- الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك؛ ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها، إلا خمسها، حتى بلغ عُشرها**»(١).

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها. وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر [الذنوب] تكفيرًا كاملاً، والناقص بحسبه.

## بمَ تتفاضل الأعمال؟

وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهما: تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه، وبهذا يزول الإشكال الذي يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذي فيه: «**إن صوم يوم عرفة يكفر سنتين، ويوم عاشوراء يكفر سنة**»(٢). قالوا: فإذا كان دأبه دائمًا أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة؟ وأجاب بعضهم عن هذا: بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات.

**ويا لله العجب**، فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٦)، وأحمد (١٨٤١٥) من حديث عمار بن ياسر ﷺ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة ﷺ.

بعضها إلى بعض، والتكفير بهذه مشروط بشروط، موقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه، فإن علم العبد أنه جاء بالشروط كلِّها، وانتفت عنه الموانع كلُّها، فحينئذٍ يقع التكفير، وأما عمل شملته الغفلة أو لأكثره، وفقد الإخلاص الذي هو روحه ولبه، ولم يوف حقه، ولم يقدره حق قدره، فأي شيء يكفر هذا العمل؟! فإن وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذي ينبغي له ظاهرًا وباطنًا، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره، ولا مبطل يحبطه من عجب، أو رؤية نفسه فيه، أو منٍّ به، أو يطلب من العباد تعظيمه به، أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه، أو يعادي من لا يعظمه عليه، ويرى أنه قد بخسه حقه، وأنه قد استهان بحرمته؛ فهذا أي شيء يكفر؟!

## محبطات الأعمال

ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه، فالرياء -وإن دق- محبط للعمل ، وهو أبواب كثيرة لا تحصر، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضًا موجب لكونه باطلاً ، والمن به على الله تعالى بقلبه مفسد له ، وكذلك المن بالصدقة والمعروف والبر والإحسان والصلة مفسد لها، كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤]. وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢].

فحذر سبحانه المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردةٍ، بل معصية يحبط بها العمل وصاحبها لا يشعر بها، فما الظن بمن قدم على قول الرسول ﷺ وهديه وطريقة قول غيره وهديه وطريقه؟! أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟!

ومن هذا قوله ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»[1]. ومن هذا قول عائشة -رضي الله تعالى عنها وعن أبيها- لزيد بن أرقم ﷺ لـما باع بالعينة: «إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ، إلا أن يتوب». وليس التبايع بالعينة ردة، وإنما غايته أن يكون معصية؛ فمعرفة ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفتش عليه العبد، ويحرص على عمله ويحذره.

وقد جاء في أثر معروف: «إن العبد ليعمل العمل سرًّا لله لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى فيتحدث به، فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، ثم يصير في ذلك الديوان على حسب العلانية، فإن تحدث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالى أبطله كما لو فعله لذلك».

** فإن قيل: فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل؟

قيل: إن كان قد عمله لغير الله تعالى وأوقعه بهذه النية، فإنه لا ينقلب صالحًا بالتوبة، بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابه، فيصير لا له ولا عليه، وأما إن عمله لله تعالى خالصًا، ثم عرض له عجب ورياء أو تحدث به ثم تاب من ذلك وندم، فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط، وقد يقال: إنه لا يعود إليه بل يستأنف العمل.

والمسألة مبنية على أصل: وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجردها أو لا يحبطه إلا الموت عليها؟ فيه للعلماء قولان مشهوران وهما روايتان عن الإمام أحمد ﷺ، فإن قلنا: تحبط العمل بنفسها؛ فمتى أسلم استأنف العمل، وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام، وإن قلنا: لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتدًّا. فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله.

وهكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل سيئة تحبطها، ثم تاب من تلك السيئة، هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟ يخرج على هذا الأصل.

ولـم يزل في نفسي شيء من هذه المسألة ولـم أزل حريصًا على الصواب فيها وما رأيت أحدًا شفي فيها، والذي يظهر لي -والله تعالى أعلم وبه المستعان، ولا قوة إلا به-: أن الحسنات

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣) من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ.

والسيئات تتدافع وتتقابل، ويكون الحكم فيها للغالب، وهو يقهر المغلوب، ويكون الحكم له حتى كأن المغلوب لم يكن، فإذا غلبت على العبد الحسنات دفعت حسناته الكثيرة سيئاته، ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد تَربى وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة، وصحت، ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

* وقد سأل حكيم بن حزام ﷺ النبيﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك: هل يثاب عليه؟ فقال النبيﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير»(١). فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك، فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة، فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحًا صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته.

## مرض السيئات والذنوب

يوضح هذا أن السيئات والذنوب هي أمراض قلبية كما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية، والمريض إذا عوفي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط، فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسنات، والمرض بمنزلة الذنوب، والصحة والعافية بمنزلة التوبة سواء بسواء، وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبدًا لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها، وعودِ البدن إلى كماله الأول، ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط؛ لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض حتى ربما كان مرض هذا سببًا لعافيته كما قال الشاعر:

لعـــل عتـــبَك مـحمـــودٌ عواقـــبه ... وربـمـــا صـــحت الأجـــسام بالعلـــلِ

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث، والله الموفق لا إله غيره، ولا رب سواه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣) من حديث حكيم بن حزام ﷺ.

## علامات تعظيم المناهي

* وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها: كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس ، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات، ومجانبة من يجاهر بارتكابها، ويحسنها، ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته .

* ومن علامات تعظيم النهي: أن يغضب لله ﷻ إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرة إذا عُصِيَ الله تعالى في أرضه، ولم يُطَع بإقامة حدوده وأوامره، ولـم يستطع هو أن يغير ذلك.

* ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: ألا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافيًا غير مستقيم على المنهج الوسط.

مثال ذلك: أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون مترخصًا جافيًا.

وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بتكرُّه وضجر، فمن حكمة الشارع ﷺ أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر، فيصلي العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى .

* ومن هذا: نهيه ﷺ أن يصلي الرجل بحضرة الطعام أو عند مدافعة البول والغائط؛ لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة، فلا يحصل المراد منها، فمن فقه الرجل في عبادته أن يقبل على شغله فيعمله، ثم يفرغ قلبه للصلاة، فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى، ونصب وجهه له، وأقبل بكليته عليه، فركعتان من هذه الصلاة يغفر للمصلي بهما ما تقدم من

ذنبه، والمقصود أنه لا يترخص ترخصًا جافيًا.

* **ومن ذلك**: أنه رخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر، وتعذر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير، وتعذر النزول أو تعسره عليه، فإذا قام في المنزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم، فجمعه بين الصلاتين لا موجب له؛ لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة، فالجمع ليس سنة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع سواء وجد عذر أو لم يوجد، بل الجمع رخصة عارضة، والقصر سنة راتبة، فسنة المسافر قصر الرباعية سواء كان له عذر أو لم يوجد، وأما جمعه بين الصلاتين فحاجة ورخصة، فهذا لون وهذا لون.

* **ومن هذا**: أن الشبع في الأكل رخصة غير محرمة، فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حد التخمة والامتلاء فيتطلب ما يصرف به الطعام، فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع ويدع الطعام وهو يشتهيه، وميزان ذلك قول النبي ﷺ: «**ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»[1]. فلا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده.

**وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي فهو**: كمن يتوسوس في الوضوء متغاليًا فيه حتى يفوت الوقت، أو يردد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة، أو تكاد تفوته الركعة، أو يتشدد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئًا من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه، ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئًا من بلاد المسلمين، وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى، ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل المفرط والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين، وحسن الظن بالنصارى، نعوذ بالله من الخذلان.

* **فحقيقة التعظيم للأمر والنهي**: ألا يعارضا بترخص جافٍ، ولا يعرَّضا لتشديد غال، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله ﷻ بسالكه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩) من حديث المقدام بن معديكرب ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٤).

وما أمر الله ﷻ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه، فإن وجد فيه تقصيرًا وفتورًا وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة فثبطه، وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة، وإن وجد عنده حذرًا وجدًّا وتشميرًا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد، وسول له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وألا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وألا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغتسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه، وألا يقربه، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بألا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يتجاوزه ويتعداه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ وإيمان، وقوة على محاربته، ولزوم الوسط، والله المستعان.

* **ومن علامات تعظيم الأمر والنهي:** ألا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله ﷻ ، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه ممتثلاً ما أمر به سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم لأمر الله، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه جملة، كما حمل ذلك كثيرًا من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوف.

فإن الله ﷻ شرع الصلوات الخمس إقامة لذكره واستعمالاً للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التي هي المقصود بخلق العبد، فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية.

فإن الله ﷻ خلق الآدمي واختاره من بين سائر البرية، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة، وجعل ثوابه -إذا قدم على عمله- أكمل الثواب وأفضله وهو: النظر إلى وجهه، والفوز برضوانه، ومجاورته في جنته.

وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه؛ لأنه يدخل عليها بما تحب، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد، ثلاثة مسلطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم، والجوارح آلة منقادة فلا يمكنها إلا الانبعاث، فهذا شأن هذه الثلاثة، وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا؛ هذا مقتضى حال العبد.

فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر، وأمده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمره أمره الملك بأمر ربه، وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يلم به مرة وهذا مرة، والمنصور من نصره الله ﷻ، والمحفوظ من حفظه الله تعالى.

## النفس (الأمارة - المطمئنة)

وجعل له مقابل نفسه الأمارة نفسًا مطمئنة، إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأمارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة، وهو للغالب عليه منهما، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهرًا لا تقوم معه أبدًا.

## (البصيرة - والهدى)

وجعل له مقابل الهوى -الحامل له على طاعة الشيطان- والنفس الأمارة نورًا وبصيرة وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر الحذر، فإن المهالك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق. إن سرت خلف هذا الدليل، فهو يطيع الناصح مرة فيبين له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه الطريق، ويؤخذ ماله، وتسلب ثيابه، فيقول: ترى من أين أتيت؟

والعجب أنه يعلم من أين أتى، ويعرف الطريق التي قطعت عليه، وأخذ فيها، ويأبى إلا سلوكها؛ لأن دليلها قد تمكن منه، وتحكم فيه وقوي عليه، ولو أضعفه بالمخالفة له، وزجره إذا دعاه، وبمحاربته إذا أراد أخذه لم يتمكن منه، ولكن هو مكنه من نفسه، وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه فيأسره ثم يسومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يغاث، فهكذا يستأثر للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة، ثم يطلب الخلاص فيعجز عنه.

فلما أن بلي العبد بما بلي به أعين بالعساكر والعدد والحصون، وقيل: قاتل عدوك وجاهده، فهذه الجنود خذ منها ما شئت، وهذه العدد البس منها ما شئت، وهذه الحصون تحصن منها بأي حصن شئت، ورابط إلى الموت، فالأمر قريب، ومدة المرابطة يسيرة جدًّا، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى داره، واسترحت من هذا الجهاد، وفرق بينك وبين عدوك، وأطلقت في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت، وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه، فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله، وأغلقت عليه أبوابه وأيس من الخروج والفرج، وأنت فيما اشتهت نفسك وقرت عينك، جزاء على صبرك في تلك المدة اليسيرة، ولزومك الثغر للرباط، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت، وكأن الشدة لم تكن.

فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه فليتدبر قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وقوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٦].

وقوله ﷻ: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٤].

وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه:١٠٢-١٠٤].

وخطب النبي ﷺ أصحابه يومًا، فلما كانت الشمس على رءوس الجبال، وذلك عند الغروب قال: «**إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه**»[(١)].

فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث، وليعلم أي شيء حصل له من هذا الوقت الذي قد بقي من الدنيا بأسرها؛ ليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوي شيئًا، ولو طلب الله تعالى والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئًا مُوَفَّرًا وأكمل منه، كما في بعض الآثار: ابن آدم بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعًا، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعًا.

* **وقال بعض السلف**: ابن آدم، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة، وكنت من نصيب الدنيا على خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظامًا.

* **وكان عمر بن عبد العزيز** ﷺ يقول في خطبته: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معادًا يجمعكم الله ﷻ فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وشقي عبد أخرجه الله ﷻ من رحمته التي وسعت كل شيء، وجنته التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف الله تعالى واتقى، وباع قليلاً بكثير، وفانيًا بباق، وشقاوة بسعادة، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفه بعدكم الباقون؟ ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غاديًا إلى الله ورائحًا قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟

والمقصود: أن الله ﷻ قد أمد العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود والعُدد والأمداد، وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه، وبماذا يستفِكُّ نفسه إذا أسر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٩١) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٦٤١).

## حديث يحيى بن زكريا عليه السلام

* وقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه والترمذي من حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكريا ﷺ بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يبطئ بها، فقال له عيسى عليه السلام: إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أن آمرهم. فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع يحيى الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد، وقعد على الشرف، فقال: إن الله -تبارك وتعالى- أمرني بخمس كلمات أن أعملهنَّ وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال له: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟

وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لـم يلتفت.

وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم، وأمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في إثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى.

قال النبي ﷺ: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة. فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم».

فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام؟ قال: «**وإن صام وصلى، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله**»[1]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فقد ذكر ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن -الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقله- ما ينجي من الشيطان، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه.

## الشرك

فذكر مثل الموحد والمشرك:

* فالموحد: كمن عمل لسيده في داره، وأدى لسيده ما استعمله فيه.

* والمشرك: كمن استعمله سيده في داره، فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيده؛ فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ويتقرب إلى عدو الله تعالى، بنعم الله تعالى عليه، ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان له مملوك كذلك لكان أمقت المماليك عنده، وكان أشد شيء غضبًا عليه وطردًا له وإبعادًا، وهو مخلوق مثله كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المتفرد بخلق عبده ورحمته وتدبيره ورزقه ومعافاته وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب والخوف والرجاء والحلف والنذر والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر، وشواهد أحوالهم -بل وأقوالهم وأعمالهم- ناطقة بأنهم يحبون أنداده من الأحياء والأموات، ويخافونهم، ويرجونهم، ويعاملونهم، ويطلبون رضاهم، ويهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى، ويخافونه، ويرجونه، ويهربون من سخطه، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (١٦٧١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤).

** والظلم عند الله ﷻ يوم القيامة له دواوين ثلاثة:

* ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

* وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله.

* وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه ﷻ ، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله ﷻ حرم الجنة على أهله، فلا يدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد، فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به، وأسنان هذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبر الوالدين، فأي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيد، وركب فيه أسنانًا من الأوامر، جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا تفتح إلا به، فلم يعقه عن الفتح عائق، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار، فإنه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها.

وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده فلابد من دخول النار؛ ليخرج خبثه فيها، ويتطهر من ذنوبه ووسخه، ثم يخرج منها، فيدخل الجنة فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣]. فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول أي: بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها.

وأما النار فإنها دار الخبث: في الأقوال، والأعمال، والمآكل، والمشارب ودار الخبيثين؛ قال الله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٧]. فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركمه كما يركم الشيء المتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلا خبيث.

ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر أعمالهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض.

## منزلة الصلاة

*** وقوله في الحديث: «وأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت».**

**** الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:**

*** أحدهما:** التفات القلب عن الله ﷻ إلى غير الله تعالى.

*** والثاني:** التفات البصر. وكلاهما منهي عنه.

ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه، وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: **«هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»**(١).

---

(١) أخرج البخاري (٧٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

* وفي أثر آخر يقول الله تعالى: «إلى خير مني، إلى خير مني»[(١)].

ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالاً، أو قد انصرف قلبه عن السلطان، فلا يفهم ما يخاطبه به؛ لأن قلبه ليس حاضرًا معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مبعدًا وقد سقط من عينيه؟ فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته، الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبته، وذلت عنقه له، واستحيا من ربه تعالى أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه.

وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية: إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله ﷻ، والآخر ساه غافل، فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه وبينه حجاب لم يكن إقبالاً ولا تقريبًا، فما الظن بالخالق ﷻ؟ وإذا أقبل على الخالق ﷻ وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ملأى منها، فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار، وذهبت به كل مذهب؟!

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد ألا يقيمه فيه، بل لا يزال به يَعِده، ويمنِّيه، وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورَجِله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتهاون بها فيتركها، فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة، وأيس منها فيذكره إياها في الصلاة؛ ليشغل قلبه بها ويأخذه

---

(١) أخرجه البزار، كما في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٨٩): ضعيف جدًا.

عن الله ﷻ ، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه ﷻ الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثلما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة.

فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه.. فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرة عينه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها، فيستريح بها لا منها.

فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا. كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ: **«يا بلال أرحنا بالصلاة»**(١). ولم يقل أرحنا منها، وقال ﷺ: **«جعلت قرة عيني في الصلاة»**(٢). فمن جعلت قرة عينه في الصلاة فكيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟! فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن ﷻ فتقول: **«حفظك الله تعالى كما حفظتني»**(٣). وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلف كما يلف الثوب الخَلِق، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: **«ضيعك الله كما ضيعتني»**.

*** وقد روي في حديث مرفوع رواه بكر بن بشر، عن سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن أبي شجرة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يرفعه أنه قال: «ما من مؤمن يتم الوضوء إلى أماكنه، ثم يقوم إلى الصلاة في وقتها فيؤديها لله ﷻ ، لم ينقص من وقتها وركوعها وسجودها ومعالمها شيئًا إلا رفعت له إلى الله ﷻ بيضاء مسفرة، يستضيء بنورها ما بين الخافقين حتى ينتهى بها إلى الرحمن ﷻ ، ومن قام إلى الصلاة فلم يكمل وضوءها، وأخرها عن وقتها،**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥، ٤٩٨٦)، وأحمد (٢٢٥٧٨، ٢٢٦٤٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٤٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٣) انظر التخريج الآتي.

**واسترق ركوعها وسجودها ومعالمها رفعت عنه سوداء مظلمة، ثم لا تجاوز شعر رأسه تقول:** ضيعك الله كما ضيعتني، ضيعك الله كما ضيعتني»[1]. فالصلاة المقبولة والعمل المقبول: أن يصلي العبد صلاة تليق بربه ﷻ ، فإذا كانت صلاة تصلح لربه -تبارك وتعالى-، وتليق به، كانت مقبولة.

** **والمقبول من العمل قسمان:**

* **أحدهما:** أن يصلي العبد، ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله ﷻ ، ذاكر لله ﷻ على الدوام، فأعمال هذا العبد تعرض على الله ﷻ حتى تقف قبالته؛ فينظر الله ﷻ إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية، قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله ﷻ متقرب إليه أحبها ورضيها وقبلها.

* **والقسم الثاني:** أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة، وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله، فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله ﷻ لم تقف تجاهه ولا يقع نظره عليها، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال، حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز، فيثيبه على ما كان له منها، ويرد عليه ما لم يُرد وجهه به منها، فهذا قبوله لهذا العمل إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من: القصور، والأكل، والشرب، والحور العين، وإثابة الأول رضاه العمل لنفسه، ورضاه على عامله، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لون، والأول لون.

** **والناس في الصلاة على مراتب خمسة:**

* **أحدها:** مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

* **الثاني:** من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيع

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٠٩٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٤٠) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٢١): ضعيف جدًا.

مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

* الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه؛ لئلا يسرق منه صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

* الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلا يضيع منها شيئًا، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه -تبارك وتعالى- فيها.

* الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه، ووضعه بين يدي ربه ﷻ، ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره -في الصلاة- أعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه ﷻ، قرير العين به.

فالقسم الأول: معاقب، والثاني: محاسب، والثالث: مكفر عنه، والرابع: مثاب، والخامس: مقرب؛ لأن له نصيبًا ممن جعلت قرة عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه ﷻ في الآخرة، وقرت عينه أيضًا به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال الله ﷻ: ارفعوا الحجب بيني وبين عبدي، فإذا التفت قال: ارخوها. وقد فسر هذا الالتفات: بالتفات القلب عن الله ﷻ إلى غيره فإذا التفت إلى غيره أرخى الحجاب بينه وبين العبد، فدخل الشيطان، وعرض عليه أمور الدنيا، وأراه إياها في صورة المرآة، وإذا أقبل بقلبه على الله، ولم يلتفت، لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب، فإن فر إلى الله تعالى، وأحضر قلبه فر الشيطان، فإن التفت حضر الشيطان، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة.

## فصل: القلوب

وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة، واشتغاله فيها بربه ﷻ إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة، وأسره الهوى، ووجد الشيطان فيه مقعدًا تمكن فيه كيف يخلص من الوساوس ومن الأفكار؟!

** والقلوب ثلاثة:

* قلب خال من الإيمان وجميع الخير: فذلك قلب مظلم، قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه؛ لأنه قد اتخذه بيتًا ووطنًا، وتحكم فيه بما يريد، وتمكن منه غاية التمكن.

* القلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات، وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار، ومجاولات ومطامع، فالحرب دول وسجال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة: فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة.

* القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في قلبه إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان ليتخطاها رجم فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء، والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحي وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو، فلا ينال منه شيئًا إلا غِرة وغفلةٍ خطفة.

وقد مثل ذلك بمثال حسن وهو: ثلاثة بيوت، بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره، وليس فيه جواهر الملك وذخائره، وبيت خال صفر لا شيء فيه، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟

* فإن قلت: من البيت الخالي. كان محالاً؛ لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها: فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟!

* وإن قلت: يسرق من بيت الملك. كان ذلك كالمستحيل الممتنع؛ فإن عليه من الحرس واليزك ما لا يستطيع اللص الدنو منه، كيف وحارسه الملك بنفسه؟ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله؟ فلم يبق للص إلا البيت الثالث، فهو الذي يشن عليه الغارة.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل، ولينزله على القلوب فإنها على منواله، فقلب خلا من الخير كله، وهو قلب الكافر والمنافق، فذلك بيت الشيطان قد أحرزه لنفسه، واستوطنه، واتخذه سكنًا ومستقرًّا، فأي شيء يسرق منه، وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه؛ وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه، فأي شيطان يجترئ على هذا القلب؟ وإن أراد سرقة شيء منه فماذا يسرق؟ وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة، ونهبة تحصل له على غرة من العبد، وغفلة لابد له منها؛ إذ هو بشر، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة، والسهو، والذهول، وغلبة الطبع.

* وقد ذكر عن وهب بن منبه -رحمه الله تعالى- أنه قال: في بعض الكتب الإلهية: لست أسكن البيوت ولا تسعني، وأي بيت يسعني والسموات حشو كرسيي؟ ولكن أنا في قلب المؤمن الوادع التارك لكل شيء سواي. وهذا معنى الأثر الآخر: ما وسعتني سمواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن.

وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعده ووعيده، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعي الهوى والطبع، وقلب بين هذين الداعيين: فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وحده، ومرة يميل بقلبه داعي الهوى والشيطان والطباع، فهذا القلب للشيطان فيه مطمع، وله منه منازلات ووقائع، ويعطي الله النصر لمن يشاء: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦]. وهذا لا يتمكن الشيطان

منه إلا بما عنده من سلاحه، فيدخل الشيطان إليه، فيجد سلاحه عنده، فيأخذه، ويقاتله به، فإن أسلحته هي الشهوات والشبهات والخيالات والأماني الكاذبة، وهي في القلب، فيدخل الشيطان فيجدها عنده فيأخذها، ويصول بها على القلب، فإن كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدة، وتزيد عليها انتصف من الشيطان، وإلا فالدولة لعدوه عليه -ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم- فإذا أذن العبد لعدوه، وفتح له باب بيته، وأدخله عليه، ومكنه من السلاح يقاتله به، فهو الملوم.

فنَفسَك لُمْ ولا تَلُمِ الْمَطايا ... ومت كمدًا فليس لك اعتذار

## فصل: منزلة الصيام

عدنا إلى شرح حديث الحارث الذي فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه: قوله ﷺ: «**وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك مثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**». إنما مثل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك؛ لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم، صومه مستور عن مشاهدة الخلق، لا تدركه حواسهم، والصائم: هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا.

وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم، هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصحيح: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وفي الحديث: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش**»[١].

**فالصوم هو**: صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فكذلك الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لـم يصم.

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم هل هي في الدنيا أو في الآخرة على قولين:

وقد وقع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد بن عبد السلام وأبي عمرو بن الصلاح في ذلك تنازع، فمال أبو محمد إلى أن تلك في الآخرة خاصة، وصنف فيه مصنفًا، ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذلك في الدنيا والآخرة، وصنف فيه مصنفًا رد فيه على أبي محمد، وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم بن حبان، فإنه في صحيحه بوب عليه كذلك فقال: ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، ثم ساق حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، والصيام لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»[٢]. ثم قال: ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة.

* ثم ساق حديثًا من حديث ابن جريج، عن عطاء، عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي الله فرح بصومه**»[٣].

* **قال أبو حاتم**: شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقًا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك؛ ليعرفوا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٩٠)، وأحمد (٨٦٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٨، ٣٤٩٠).

(٢) انظر التخريج الآتي.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

من بين سائر الأمم في ذلك الجمع بذلك العمل -جعلنا الله تعالى منهم-.

ثم قال: ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضًا أطيب من ريح المسك في الدنيا، ثم ساق من حديث شعبة، عن سليمان عن ذكوان، عن أبي هريرة عن النبيﷺ: **«كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، يقول الله: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، والشراب من أجلي، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم حين يخلف من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك»**[1]. واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة.

**قلت:** ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه: **«والذي نفسي بيده ما من مكلوم يُكْلم في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى: اللون لون دم، والريح ريح مسك»**[2]. فأخبرﷺ عن رائحة كلم المكلوم في سبيل الله ﷻ بأنها كريح المسك يوم القيامة، وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصائم، فإن الحس يدل على أن هذا دم في الدنيا وهذا خلوف، ولكن يجعل الله تعالى رائحة هذا وهذا مسكًا يوم القيامة.

* واحتج الشيخ أبو عمرو بما ذكره أبو حاتم في صحيحه من تقييده ذلك بوقت إخلافه، وذلك يدل على أنه في الدنيا، فلما قيد المبتدأ، وهو خلوف فم الصائم بالظرف: وهو قوله، حين يخلف. كان الخبر عنه -وهو قوله: **«أطيب عند الله»**-. خبرًا عنه في حال تقييده، فإن المبتدأ إذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف كان الخبر عنه حال كونه مقيدًا، فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال إخلافه.

* **قال:** وروى الحسن بن سفيان في مسنده، عن جابر: أن النبيﷺ قال: **«أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسًا...»** فذكر الحديث، وقال فيه: **«وأما الثانية فإنهم يمسون وريح أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك»**[3]. ثم ذكر كلام الشراح في معنى طيبه، وتأويلهم إياه بالثناء

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٦٠٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٥٨٧).

على الصائم، والرضا بفعله على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتى كأنه قد بورك له فيه، فهو موكل به، وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله، والرضا بفعله، وإخراج اللفظ عن حقيقته؟ وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنى، ثم يدعي إرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذي عينه أو احتمال اللغة له.

ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذلك معلومًا بوضع اللفظ لذلك المعنى أو عرف الشارع ﷺ أو عادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم.

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك، فمثل النبي ﷺ طيب هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم، ونسبة استطابة ذلك إليه ﷻ كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أن ذاته ﷻ لا تشبه ذوات خلقه، وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعاله لا تشبه أفعالهم، وهو ﷻ يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا، ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال؛ إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله في الرضا، فإن قالوا: رضاه ليس كرضا المخلوقين. فقولوا: استطابته ليست كاستطابة المخلوقين. وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب.

* ثم قال: وأما ذكر يوم القيامة في الحديث؛ فلأنه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة؛ طلبًا لرضا الله تعالى، حيث يؤمر باجتنابها، واجتلاب الرائحة الطيبة، كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات، فخص يوم القيامة بالذكر في بعض الروايات كما خص في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:١١]. وأطلق في باقيها نظرًا إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين.

**قلت:** من العجب رده على أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره، فإن الذي فسر به الاستطابة المذكورة في الدنيا بثناء الله تعالى على الصائمين، ورضاه بفعلهم أمر لا ينكره مسلم، فإن الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه، وفيما بلغه عنه رسول الله ﷺ ورضي بفعلهم، فإن كانت هذه هي الاستطابة، أفترى الشيخ أبا محمد ينكرها؟! والذي ذكره الشيخ أبو محمد، أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك في اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد، ويكون كرائحة المسك، ولا ريب أن ذلك يوم القيامة، فإن الصائم في ذلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك، كما يجيء المكلوم في سبيل الله ﷻ ورائحة دمه كذلك، لاسيما والجهاد أفضل من الصيام، فإذا كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة، فكذلك الصائم.

* وأما حديث جابر: «**فإنهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك**». فهذه جملة حالية لا خبرية، فإن خبر أمسى لا يقترن بالواو؛ لأنه خبر مبتدأ فلا يجوز اقترانه بالواو، وإذا كانت الجملة حالية فلأبي محمد أن يقول: هي حال مقدرة، والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها، ولهذا لو صرح بيوم القيامة في مثل هذا، فقال: يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة. لم يكن التركيب فاسدًا، كأنه قال: يمسون وهذا لهم يوم القيامة.

* وأما قوله: «**لخلوف فم الصائم حين يخلف**». فهذا الظرف تحقيق لمعنى المبتدأ وتأكيد له، وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه لا مجازه ولا استعارته، وهذا كما تقول: جهاد المؤمن حين يجاهد، وصلاته حين يصلي يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة ويرفع بها درجته يوم القيامة، وهذا قريب من قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[1]. وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرته تلك الأفعال فقط، بحيث إذا كملت مباشرته، وانقطع فعله عاد إليه الإيمان، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة، وإلا فما دام مصرًّا وإن لم يباشر الفعل فالنفي لاحق به، ولا يزول عنه اسم الذنب والأحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح، والله ﷻ أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

## خلوف فم الصائم

قلت: وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبيﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة؛ فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر، وتبدو على الوجوه، وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون؛ فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها زائدًا على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى وبالعكس، فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد، وصار علانية.

وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها، ويصير علانية في الآخرة، وقد يقوى العمل، ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر، كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق».

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه الله تعالى رداءه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر». وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيبًا، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشم لا هذا ولا هذا، بل زكامه يحمله على الإنكار.

فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله تعالى أعلم بالصواب.

## فصل: منزلة الصدقة

* وقوله: «وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم». هذا أيضًا من الكلام الذي برهانه وجوده، ودليله وقوعه، فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم قد جربوه.

* وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء»[1]. وكما أنها تطفئ غضب الرب -تبارك وتعالى- فهي تطفئ الذنوب والخطايا، كما يطفئ الماءُ النارَ.

* وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه، ونحن نسير فقال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل». ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦][2].

* وفي بعض الآثار: «باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة»[3].

وفي تمثيل النبي ﷺ ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية، فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله ﷻ، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه فتجيء الصدقة تفديه من العذاب، وتفكه منه؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٦٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٤٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥٦٤٣) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٣٥٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٣١٧): ضعيف جدًا.

العيد: «يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار»[١]. وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار.

* وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[٢].

* وفي حديث أبي ذر أنه قال: سألت رسول الله ﷺ ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «الإيمان بالله». قلت: يا نبي الله، مع الإيمان عمل؟ قال: «أن ترضخ مما خولك الله -أو: ترضخ مما رزقك الله-» قلت: يا نبي الله، فإن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟ قال: «يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر». قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ قال: «فليعن الأخرق». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: «فليعن مظلومًا». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟ قال: «ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟ ليمسك أذاه عن الناس». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: «ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى أدخلته الجنة»[٣]. ذكره البيهقي في كتاب شعب الإيمان.

* وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «ذكر لي أن الأعمال تتباهى، فتقول الصدقة: أنا أفضلكم».

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: ضرب رسول الله ﷺ: «مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد أو جنتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثدييهما وتراقيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشي أنامله، وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت، وأخذت كل حلقة مكانها». قال أبو هريرة: فأنا رأيت

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٢)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٣٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٧٦).

رسول الله ﷺ يقول بإصبعه هكذا في جيبه، فلو رأيته يوسعها ولا تتسع[1].

وروى البخاري هذا الحديث في كتاب الزكاة، عن أبي هريرة أيضًا ولفظه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثُديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع**»[2].

وروى عن أبي بردة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**على كل مسلم صدقة**». قالوا: يا رسول الله، فمن لـم يجد؟ قال: «**يعمل بيده؛ فينفع نفسه ويتصدق**». قالوا: فإن لـم يجد؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر فإنها له صدقة**»[3].

ولما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان، ممنوعًا عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن ، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة، ولا يعان على مطلوب، فهو كرجل عليه جبة من حديد، قد جمعت يداه إلى عنقه، بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها، وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها، وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه البخل فيبقى قلبه في سجنه كما هو.

والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح، وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقًا بالاستكثار منها والمبادرة إليها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

* وكان عبد الرحمن بن عوف -أو سعد بن أبي وقاص- يطوف بالبيت وليس له دأب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٩٧)، ومسلم (١٠٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٥)، ومسلم (١٠٠٨).

إلا هذه الدعوة: «رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي. فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة. فقال: إذا وقيت شح نفسي فقد أفلحت».

** والفرق بين الشح والبخل:

أن الشح: هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه.

والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله، وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل؛ والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أضاع شحَّه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

والسخي قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن أهله، وقريب من الجنة، وبعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من خلقه بعيد من الجنة، قريب من النار، فجود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده؛ كما قيل:

| | |
|---|---|
| ويُظهر عيبَ الْمَرء في الناس بخلُه | ويستره عنهم جميعًا سخاؤه |
| تغطَّ بأثواب السخاء فإنني | أرىٰ كل عيب فالسخاء غطاؤه |
| وقارن إذا قارنت حرًّا فإنما | يزين ويزري بالفتىٰ قرناؤه |
| وأَقْلِلْ إذا ما اسطعت قولاً فإنه | إذا قل قول الْمَرء قل خطاؤه |
| إذا قل مال الْمَرء قل صديقه | وضاقت عليه أرضه وسماؤه |
| وأصبح لا يدري وإن كان حازمًا | أقُدَّامُه خيرٌ له أم وراؤه |
| إذا الْمَرء لم يختر صديقًا لنفسه | فناد به في الناس هذا جزاؤه |

وحد السخاء: بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة.

وليس كما قال بعض من نقص علمه: حد الجود بذل الموجود. ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير، وقد ورد الكتاب بذمهما، وجاءت السنة بالنهي عنهما.

## السخاء

وإذا كان السخاء محمودًا فمن وقف على حده سمي كريمًا، وكان للحمد مستوجبًا، ومن قصر عنه كان بخيلاً، وكان للذم مستوجبًا، وقد روي في أثر: «أن الله ﷻ أقسم بعزته ألا يجاوره بخيل»[1].

* **والسخاء نوعان:** فأشرفهما: سخاؤك عما بيد غيرك، والثاني: سخاؤك ببذل ما في يدك، فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئًا؛ لأنه سخا عما في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرعًا، وعن مال غيرك متورعًا.

* **وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن الله أوحى إلى إبراهيم ﷺ: «أتدري لم اتخذتك خليلاً؟ قال: لا. قال: لأني رأيت العطاء أحب إليك من الأخذ».**

وهذه صفة من صفات الرب ﷻ فإنه يعطي ولا يأخذ، ويُطْعِم ولا يُطْعَم، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأحب الخلق إليه من اتصف بصفاته ، فإنه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال .

* **روى الترمذي في جامعه** قال: حدثنا محمد بن بشار: حدثنا أبو عامر: أخبرنا خالد بن إلياس عن صالح بن أبي حسان قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أخبيتكم، ولا تشبَّهوا باليهود. قال: فذكرت ذلك للمهاجر بن مسمار فقال: حدثنيه عامر بن سعد، عن أبيه -رضي الله تعالى

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٥٥٢).

عنه- عن النبي ﷺ مثله إلا أنه قال: «فنظفوا أفنيتكم»[1]. هذا حديث غريب، خالد بن إلياس يضعف.

* وفي الترمذي أيضًا في كتاب البر قال: حدثنا الحسن بن عرفة: حدثنا سعيد بن محمد الوراق: عن يحيى بن سعيد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل»[2].

* وفي الصحيح: «إن الله تعالى وتر يحب الوتر»[3]. وهو ﷻ رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبر يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل للمعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن صفح عنهم صفح عنه ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن تتبع عوراتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق الله شاق الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه.

ولهذا جاء في الحديث: «من ستر مسلمًا ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٦١٦).
(٢) أخرجه الترمذي (١٩٦١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٤١).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

**الله تعالى عليه حسابه، ومن أقال نادمًا أقاله الله تعالى عثرته، ومن أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه»**[١]. لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر، ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش.

* وكذلك الحديث الذي في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته يومًا: **«يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»**[٢]. فكما تدين تدان. وكن كيف شئت، فإن الله تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده.

ولما أظهر المنافقون الإسلام، وأسروا الكفر أظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نورًا على الصراط، وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط، وأسر لهم أن يطفئ نورهم، وأن يحال بينهم وبين قطع الصراط جزاءً من جنس أعمالهم.

وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه، فإن الله تعالى يظهر له في الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز، ويبطن له خلافها، وفي الحديث: **«من راءى راءى الله به، ومن سَمَّعَ سَمَّعَ الله به»**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كُربة؛ فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»**.

وقوله: **«ومن أقال نادمًا أقاله الله عثرته ...»**. أخرجه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩)، وأحمد (٧٣٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٧١، ٥٤٦٤).

وقوله: **«ومن انظر معسرًا...»**. أخرجه مسلم (٣٠١٤) من حديث أبي اليسر الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (١٩٢٧٧) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والمقصود: أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل الممسك، ويوسع عليه في ذاته وخُلقه ورزقه ونفسه وأسباب معيشته جزاء له من جنس عمله.

## فصل: فضل ذكر الله

* وقوله ﷺ: «**وأمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في إثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله**». فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد ألَّا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وألا يزال لهجًا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله، وتصاغر، وانقمع حتى يكون كالوصع وكالذباب، ولهذا سمي: الوسواس الخناس؛ أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس؛ أي: كف وانقبض.

قال ابن عباس: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس».

* وفي مسند الإمام أحمد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله ﷻ**»[1].

* وقال معاذ : قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذكر الله ﷻ**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠) من حديث أبي الدرداء ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٩).

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول اللهﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جُمْدَان. فقال: «سيروا، هذا جمدان، سبق المفرِّدون». قيل: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»[1].

* وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة»[2].

* وفي رواية الترمذي: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم»[3].

* وفي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول اللهﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[4].

* وفي الترمذي عن عبد الله بن بسر: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تكثر علي فأنسى.

وفي رواية: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، وأنا قد كبرت، فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: «لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله تعالى»[5].

* وفي الترمذي أيضًا عن أبي سعيد: أن رسول اللهﷺ سئل: أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا». قيل: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دمًا كان الذاكر

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٣٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣) من حديث عبد الله بن بسر ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٠٠).

لله تعالى أفضل منه درجة»[١].

* وفي صحيح البخاري عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[٢].

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله -تبارك وتعالى-: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[٣].

* وفي الترمذي عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «حلق الذكر»[٤].

* وفي الترمذي أيضًا عن النبي ﷺ عن الله ﷻ أنه يقول: «إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاقٍ قرنَه»[٥]. وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر والمجاهد، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى. فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]. فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معًا؛ ليكونوا على رجاء من الفلاح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١]. وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]. أي: كثيرًا، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠].

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٨٩٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٧).
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٥١٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧١٢).
(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٨٠) من حديث عمارة بن زعكرة ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٥٠).

فقيد الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله ﷻ كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله ﷻ .

وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصله.

* وذكر البيهقي عن عائشة -رضي الله عنها وعن أبيها- عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة»[١].

* وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضًا: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله ﷻ فيها»[٢].

* وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو ذكرًا لله ﷻ »[٣].

* وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ ؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله ﷻ »[٤].

* وقال أبو الدرداء -رضي الله تعالى عنه-: «لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله ﷻ ».

* وذكر البيهقي مرفوعًا من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «لكل شيء سقالة، وإن سقالة القلوب ذكر الله ﷻ ، وما من شيء أنجى من عذاب الله ﷻ من ذكر

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥١١)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩١٣): ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥١٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٢)، وابن ماجه (٣٩٧٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٨٣).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٩٣، ١٠٦، ١٠٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٩٢): حسن صحيح.

الله». قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ قال: «ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع»[١].

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك الذكر صدئ، فإذا ذكر جلاه.

وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكبًا على قلبه، وصداؤه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم، فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقًّا ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب.

وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو هو من الغافلين؟. وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة وأمره فرط لم يقتد به ولم يتبعه فإنه يقوده إلى الهلاك.

ومعنى الفرط: قد فسر بالتضييع، أي: أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه. وفسر بالإسراف أي: قد أفرط. وفسر بالإهلاك. وفسر بالخلاف للحق. وكلها أقوال متقاربة.

والمقصود: أن الله ﷻ نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد عنه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليتمسك بغرزه، ولا فرق بين

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٩٥): صحيح لغيره.

الحي والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت، وفي المسند مرفوعًا : «أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون»[١].

## فصل : فوائد الذكر

** وفي الذكر نحو من مائة فائدة:

**إحداها**: أنه يطرد الشيطان، ويقمعه، ويكسره.

**الثانية**: أنه يرضي الرحمن ﷻ .

**الثالثة**: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

**الرابعة**: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

**الخامسة**: أنه يقوي القلب والبدن.

**السادسة**: أنه ينور الوجه والقلب.

**السابعة**: أنه يجلب الرزق.

**الثامنة**: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

**التاسعة**: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيئًا سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر؛ فمن أراد أن ينال محبة الله ﷻ فليلهج بذكره، فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

**العاشرة**: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

**الحادية عشرة**: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله ﷻ ، فمتى أكثر الرجوع إليه

---

(١) أخرجه أحمد (١١٢٧٧) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩٠١).

بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله ﷻ مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقبلة قلبه، ومهربه عند النوازل والبلايا.

**الثانية عشرة**: أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله ﷻ يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

**الثالثة عشرة**: أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

**الرابعة عشرة**: أنه يورثه الهيبة لربه ﷻ وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

**الخامسة عشرة**: أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢] . ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا.

وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه -تبارك وتعالى-: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم»[1].

**السادسة عشرة**: أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!

**السابعة عشرة**: أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد هذا الغداء لسقطت قوتي. أو كلامًا قريبًا من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلامًا هذا معناه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

**الثامنة عشرة:** أنه يورث جلاء القلب من صداه كما تقدم في الحديث، وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار، وقد تقدم هذا المعنى.

**التاسعة عشرة:** أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

**العشرون:** أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه -تبارك وتعالى- فإن الغافل بينه وبين الله ﷻ وحشة لا تزول إلا بالذكر.

**الحادية والعشرون:** أن ما يذكر به العبد ربه ﷻ من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة، فقد روى الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن مما تذكرون من جلال الله ﷻ من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش؛ لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به**»[1]. هذا الحديث أو معناه.

**الثانية والعشرون:** أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة، وقد جاء أثر معناه: أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة، أو سأل الله تعالى حاجة، قالت الملائكة: يا رب صوت معروف من عبد معروف. والغافل المعرض عن ذكر الله ﷻ إذا دعاه أو سأله، قالت الملائكة: يا رب صوت منكر من عبد منكر.

**الثالثة والعشرون:** أنه منجاة من عذاب الله تعالى، كما قال معاذ ﷺ ويروى مرفوعًا: «**ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله ﷻ من ذكر الله تعالى**»[2].

**الرابعة والعشرون:** أنه سبب نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر، كما أخبر به النبي ﷺ.

**الخامسة والعشرون:** أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩)، وأحمد (١٧٨٩٨) من حديث النعمان بن البشير ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

والباطل، فإن العبد لابد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو ببعضها، فلا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله صان الله لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**السادسة والعشرون:** أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

**السابعة والعشرون:** أنه يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أينما كان، والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته، ويشقى به مجالسه.

**الثامنة والعشرون:** أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة.

**التاسعة والعشرون:** أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحرِّ الأكبر في ظل عرشه، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن ﷻ.

**الثلاثون:** أن الاشتغال به سبب لعطاء الله الذاكر أفضل ما يعطي السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»**[1].

**الحادي والثلاثون:** أنه أيسر العبادات، وهو من أجلِّها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من أعضاء الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك.

**الثانية والثلاثون:** أنه غراس الجنة، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٣٥).

مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[١]. قال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود.

* وفي الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»[٢]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال، ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»[٣].

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»[٤].

* وفي الترمذي من حديث أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدًا عبدك ورسولك؛ أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقه الله تعالى من النار»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤، ٣٤٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١) واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٦٩) واللفظ له، والترمذي (٥٠٧٨) دون قوله: «أعتق الله ربعه...» إلخ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣١).

* وفيه عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا؛ كان حقًّا على الله أن يرضيه»[(١)].

* وفي الترمذي: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب له الله ألفَ ألف حسنة، ومحا عنه ألفَ ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»[(٢)].

الرابعة والثلاثون: أن دوام ذكر الرب -تبارك وتعالى- يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب ﷻ يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر:١٩]. وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولابد، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره، وضيع مصالحه فإنه يفسد ولابد، هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها واشتغل عن مصالحها، وعطل مراعاتها، وترك القيام عليها بما يصلحها؟! فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان!

وهذا هو الذي صار أمره كله فرطًا، فانفرط عليه أمره، وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك، ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وألا يزال اللسان رطبًا به، وأن ينزله منزلة حياته التي لا غنى له عنها ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد وبمنزلة الكِنِّ في شدة الشتاء والسموم.

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٢) واللفظ له، والترمذي (٣٣٨٩)، وابن ماجه (٣٨٧٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٤، ٥٧٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٢٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٩٤): حسن لغيره.

من هلاك البدن وفساده؟! وهذا هلاك لابد منه، وقد يعقبه صلاح الأبد، وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولو لـم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها.

فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]؛ أي: تنسى في العذاب كما نسيت آياتنا فلم تذكرها ولم تعمل بما فيها.

وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله، وهو كتابه وهو المراد، ويتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ونعمه، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى، فإن الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى معموله الذي هو المذكور، وإما اسم مضاف إلى الفاعل أو مضاف إضافة الأسماء المحضة، أي: من أعرض عن كتابي ولم يتله، ولم يتدبره، ولم يعمل به، ولم يفهمه، فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيقة عليه منكدة، معذبًا فيها.

والضنك: الضيق والشدة والبلاء، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح: أنها تتناول معيشته في الدنيا وعذابه في البرزخ، فإنه يكون في ضنك في الحالين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة ينسى في العذاب.

وهذا عكس أهل السعادة والفلاح فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، وفي البرزخ ولهم الآخرة أفضل الثواب.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧]. فهذا في البرزخ والآخرة.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود:٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

فهذه أربعة مواضع ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا، وجزاء في الآخرة؛ فالإحسان له جزاء معجل ولابد، والإساءة لها جزاء معجل ولابد.

ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره وانفساح قلبه وسروره ولذته بمعاملة ربه ﷻ وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته وذكره وفرحه بربه ﷻ أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه، وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازته وغمه وهمه وحزنه وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه، والرضا به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة حاضرة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة.

* **وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول**: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

* **وقال لي مرة**: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

* **وكان يقول في محبسه بالقلعة**: لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير. ونحو هذا.

**وكان يقول في سجوده وهو محبوس**: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله.

* **وقال لي مرة**: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.

ولما أُدخل إلى القلعة، وسار داخل سورها، نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣].

وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله. وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

* **وكان بعض العارفين يقول:** لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

* **وقال آخر:** مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره. أو نحو هذا.

* **وقال آخر:** إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا.

* **وقال آخر:** إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين.

وإنما تقر أعين الناس بهم على حسب قرة أعينهم بالله ﷻ ، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، وإنما يصدق بهذه الأمور من في قلبه حياة.

وأما ميت القلب فيوحشك، ثم فاستأنس بغيبته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلا حضوره

عندك، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك، وترحل عنه بقلبك، وفارقه بسرك، ولا تشتغل به عما هو أولى بك.

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجدي عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله ﷻ ، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك، وشتات قلبك عليك، وضعف عزيمتك، وتفرق همك، فإذا بليت بهذا -ولابد لك منه- فعامل الله تعالى فيه، واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرب إلى الله بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به متجرًا لك لا تجعله خسارة، وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل وقفه عن سيره، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به فتحمله ولا يحملك، فإن أبى ولم تلق في سيره مطمعًا فلا تقف معه بل اركب الدرب ، ودعه ولا تلتفت إليه، فإنه قاطع طريق ولو كان من كان، فانج بقلبك، وضن بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فتؤخذ أو يطلع الفجر وأنت في المنزلة، فيسير الرفاق فتصبح وحدك، وأنى لك بلحاقهم!

**الخامسة والثلاثون:** أن الذكر يسير العبد وهو قاعد على فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه وقيامه وقعوده واضطجاعه وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيء يعم الأوقات والأحوال مثله، حتى أنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

* وحكي عن رجل من العباد أنه نزل برجل ضيفًا، فقام العابد ليله يصلي وذلك الرجل مستلق على فراشه، فلما أصبحا قال له العابد: سبقك الركب، -أو كما قال- فقال: ليس الشأن فيمن بات ليله مسافرًا وأصبح مع الركب، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب.

وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد، فمن حمله على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل، وإنما محمله أن هذا المستلقي على فراشه علق قلبه بربه ﷻ ، وألصق حبة قلبه بالعرش، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة قد غاب عن الدنيا

وما فيها، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنع القيام أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه أو غير ذلك من الأعذار، فهو مستلق على فراشه وفي قلبه ما الله أعلم به.

* وآخر قائم يصلي ويتلو وفي قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم، أو قلبه في وادٍ وجسمه في وادٍ، فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة، فالعمل على القلوب لا على الأبدان، والمعول على الساكن لا على الأطلال، والاعتبار بالمحرك الأول، فالذكر يثير العزم الساكن، ويهيج الحب المتواري، ويبعث الطلب الميت.

**السادسة والثلاثون:** أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]. فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته.

والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته.

ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤاله ربه -تبارك وتعالى- حين يسأله أن يجعله في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه، حتى يقول: «**واجعلني نورًا**»[1]. فسأل ربه -تبارك وتعالى- أن يجعل النور في ذاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نورًا، فدين الله ﷻ نور، وكتابه نور، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ، وهو -تبارك وتعالى- نور السموات والأرض، ومن أسمائه النور، والظلمات أشرقت لنور وجهه.

* وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل عليَّ غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى**

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»[(١)].

* **وقال ابن مسعود** ﷺ: «ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه».

وفي بعض ألفاظ هذا الأثر: «نور السموات والأرض من نور وجهه» ذكره عثمان الدارمي.

وقد قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر:٦٩]. فإذا جاء -تبارك وتعالى- يوم القيامة للفصل بين عباده، وأشرقت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر، فإن الشمس تكور، والقمر يخسف، ويذهب نورهما، وحجابه -تبارك وتعالى- النور.

* **قال أبو موسى**: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: **«إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**[(٢)]. ثم قرأ: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل:٨]. فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه، ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره.

ولهذا لما تجلى -تبارك وتعالى- للجبل، وكشف من الحجاب شيئًا يسيرًا ساخ الجبل في الأرض وتدكدك ولم يقم لربه -تبارك وتعالى-، وهذا معنى قول ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]. قال: «ذلك الله ﷻ إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء».

وهذا من بديع فهمه -رضي الله تعالى عنه- ودقيق فطنته، وكيف لا وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يعلمه الله التأويل؛ فالرب -تبارك وتعالى- يرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له وإن رأته، فالإدراك أمر وراء الرؤية، وهذه الشمس -ولله المثل الأعلى- نراها ولا ندركها كما هي عليه ولا قريبًا من ذلك، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية

(١) أخرجه الطبراني، كما في مجمع الزوائد (٦/ ٣٧) من حديث عبد الله بن جعفر، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩).

وأورد عليه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ فقال: «ألست ترى السماء؟ قال: بلى. قال: أفتدركها؟ قال: لا. قال: فالله تعالى أعظم وأجل».

وقد ضرب الله ﷻ لنوره في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون فقال ﷻ: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور:٣٥].

* قال أبي بن كعب: «مثل نوره في قلب المسلم».

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم، ثم تقوى مادتُه وتتزايد حتى تظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكرون، فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر، وآخر كالنجم وآخر كالسراج، وآخر يعطى نورًا على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفئ أخرى، إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا فأعطي على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عيانًا .

ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا، بل كان نوره ظاهرًا لا باطنًا أعطي نورًا ظاهرًا مآله إلى الظلمة والذهاب.

وضرب الله ﷻ لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج، وحتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه وهي مثل القلب، وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن وهي الصفاء والرقة والصلابة، فيرى الحق والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ ويشتد في الحق ويصلب فيه بصلابته، ولا تبطل صفةٌ منه صفةً أخرى، ولا تعاديها، بل تساعدها وتعاضدها: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]. وقال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣].

* **وفي أثرٍ:** «القلوب آنية الله تعالى في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها».

** **وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض:**

* **أحدهما:** قلب حجري قاسٍ لا رحمة فيه ولا إحسان ولا بر، ولا له صفاء يرى به الحق، بل هو جبار جاهل لا عالـمٌ بالحق، ولا راحمٌ للخلق.

**وبإزائه** قلب ضعيف مائي لا قوة فيه ولا استمساك، بل يقبل كل صورة، وليس له قوة حفظ تلك الصور، ولا قوة التأثير في غيره، وكل ما خالطه أثر فيه من قوي وضعيف، وطيب وخبيث.

وفي الزجاجة مصباح، وهو النور الذي في الفتيلة، وهي حاملته، ولذلك النور مادة، وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح.

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة، وأبعدها من الانحراف، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف انحراف النصرانية. ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن، ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه، ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته، وقويت مادة ضوء النار به كان ذلك نورًا على نور.

وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه وخالطت بشاشته فازداد نورًا بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة، نور على نور، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثرًا، ثم يسمع الأثر مطابقًا لما شهدت به فطرته فيكون نورًا على نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة.

**فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة**، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة فذكر ﷻ نوره في السموات والأرض، ونوره في قلوب عباده المؤمنين، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب، والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي، فهما نوران عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمي ولا غيره؛ لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يتكون ألبتة، فكذلك أمة فقد منها نور الوحي والإيمان، وقلب فقد منه هذا النور ميت ولابد لا حياة له ألبتة، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه.

## الحياة والنور

والله ﷻ يقرن بين الحياة والنور كما في قوله ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقد قيل: إن الضمير في ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ عائد إلى الأمر. وقيل: إلى الكتاب. وقيل: إلى الإيمان.

**والصواب**: أنه عائد إلى الروح -أي: جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نورًا- فسماه روحًا لما يحصل به من الحياة، وجعله نورًا لما يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الإضاءة والاستنارة، وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح فهو ميت مظلم كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مضمحل، فلهذا يضرب ﷻ المثلين: المائي، والناري معًا، لما يحصل بالماء من الحياة، وبالنار من الإشراق والنور، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧]. وقال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل:

«بنارهم»؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق.

وكذلك حال المنافقين: ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صَلِيت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارًا موقدة تطلع على الأفئدة.

فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق عرف ثم أنكر، وأقر ثم جحد، فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى، كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة :١٧١] .

وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانًا؛ ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨]. لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به، واستناروا به، فهم لا يرجعون إليه، وقال تعالى في حق الكفار: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنهم لم يعقلوا الإسلام، ولا دخلوا فيه، ولا استناروا به، بل لم يزالوا في ظلمات الكفر صم بكم عمي.

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا، وإلى طريق الرشاد هاديًا.

لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبًا من غيها خالية، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها، وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشهادة الباطل فلم تصغ بعده إلى

الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة، وما لجرح بميت إيلام.

## فصل

* والمثل الثاني المائي: قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:١٩].

الصيب: المطر الذي يصوب من السماء -أي: ينزل منها بسرعة- وهو مثل القرآن الذي به حياة القلوب كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنون ذلك منه، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات التي حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنه منزلها بمن كذب رسوله ﷺ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة كجهاد الأعداء والصبر على اللأواء، والأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إراداتها فهي كالظلمات والرعد والبرق، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب.

* وأما المنافق فإنه لعمى قلبه لم يجاوز بصره الظلمة، ولم ير إلا برقًا يكاد يخطف البصر، ورعدًا عظيمًا وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهاله مشاهدة ذلك البرق وشدة لمعانه وعظم نوره؛ فهو خائف أن يختطف معه بصره؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذلك البرق الخاطف، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه، وإن فقد الضوء قام متحيرًا لا يدري أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات، وحياته هو في نفسه، بل لا يدرك إلا رعدًا وبرقًا وظلمة، ولا شعور له بما وراء ذلك، فالوحشة لازمة له، والرعب والفزع لا يفارقه.

وأما من أنس بالصيب، وعلم ما يحصل به من الخيرات والنفع وعلم أنه لابد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم استأنس بذلك ولم يستوحش منه، ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب.

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند رب العالمين -تبارك وتعالى- على قلب رسول الله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب المائي، حكمة بالغة وأسبابًا منتظمة نظمها العزيز الحكيم، فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه ورعوده وبروقه فقط، لم يعلم ما وراءه، فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأن به العالمون، وشك فيما تيقنه المبصرون العارفون، فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش في نحر الظهيرة، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد، وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من صوت الرعد.

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت فيها وقعدت واتسع فيها مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دويانها، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم والقائمين بدعوتهم والمحامين عن حوزتهم والمقاتلين تحت ألويتهم والمكثرين لسوادهم عددًا، وما أقلهم عند الله وأولياؤه قدرًا.

ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أسرارهم غاية الكشف، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم، ولم يزل ﷻ يقول: «ومنهم.. ومنهم.. ومنهم» حتى انكشف أمرهم، وبانت حقائقهم، وظهرت أسرارهم.

وقد ذكر الله تعالى في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات ، وفي أوصاف الكفار آيتين ، وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية، لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنهم من الجلدة، مظهرون الموافقة والمناصرة، بخلاف الكافر الذي قد نابذ بالعداوة، وأظهر السريرة ودعاك بما أظهره إلى منابذته ومفارقته .

## فصل

ونظير هذين المثلين المثلان المذكوران في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ ﴾ [الرعد : ١٧].

فهذا المثل هو المائي شبه سبحانه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء، وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل، فقلب كبير يسع علمًا عظيمًا كوادٍ كبيرٍ يسع ماءً كثيرًا، وقلب صغيرٍ كوادٍ صغير يسع علمًا قليلاً، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها.

ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله السيل فيطفو على وجه الماء زبدًا عاليًا، ويمر عليه متراكبًا، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لا يبقى منه شيء، ويبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض، فيحيي به البلاد والعباد والشجر والدواب، والغثاء يذهب جفاء يجفى ويطرح على شفير الوادي.

فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله من السماء في القلوب فاحتملته فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة، فطفا في أعلاها، واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلب وهو أصله ومستقره، كما قال النبي ﷺ: «**نزل الإيمان في جذر قلوب الرجال**»[1]. رواه البخاري من حديث حذيفة. فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئًا فشيئًا حتى يزول كله، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس، فيشربون ويسقون ويزرعون.

* وفي الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ**

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣)، ولفظه: «**الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال...**».

والعشب الكثير، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فَقُهَ في دين الله تعالى، ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[١].

## تقسيم الهدى

** فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات:

* **الطبقة الأولى**: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وهم الذين قاموا بالدين علمًا وعملاً ودعوة إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ، فهؤلاء أتباع الرسول -صلوات الله عليه وسلامه- حقًّا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكا الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء -صلى الله عليهم وسلم- الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص:٤٥]. فالأيدي: القوة في أمر الله، والأبصار: البصائر في دين الله ﷻ، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين والبصر بالتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهمًا خاصًّا.

* كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وقد سئل: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه».

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية فإنها حفظت النصوص، وكان همها حفظها وضبطها، فوردها

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

الناس وتلقوها منهم، فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات فاستخرجوا غوامضها وأسرارها ووردوها كلٌّ بحسبه: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠]. وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»**(١).

* وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه: سمعت ورأيت. وسمع الكثير من الصحابة، وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علمًا وفقهًا.

* **قال أبو محمد بن حزم:** «وجمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار»، وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٤].

وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق، يؤدي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درسًا، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ، وتبليغ ما حفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

** **وهكذا الناس بعده قسمان:**

* قسم حفاظ: معتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا، ولا يستنبطون، ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠) من حديث زيد بن ثابت ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٠).

* **وقسم معتنون بالاستنباط:** واستخراج الأحكام من النصوص والتفقه فيها.

* **فالأول:** كأبي زرعة وأبي حاتم وابن وارة.

وقبلهم كبندار محمد بن بشار وعمرو الناقد وعبد الرزاق.

وقبلهم كمحمد بن جعفر غندر، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه من غير استنباط وتصرف واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص.

* **والقسم الثاني:** كمالك والليث وسفيان وابن المبارك والشافعي والأوزاعي وإسحاق وأحمد بن حنبل والبخاري وأبي داود ومحمد بن نصر المروزي ، وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية.

فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسولهﷺ، وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأسًا.

* **وأما الطائفة الثالثة:** وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدى الله، ولم يرفعوا به رأسًا، فلا حفظ ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية .

* **فالطبقة الأولى:** أهل رواية ورعاية ودراية.

* **والطبقة الثانية:** أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية، بل حظهم من الرواية أوفر.

* **والطبقة الثالثة:** الأشقياء لا رواية ولا دراية ولا رعاية: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]. فهم الذين يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، إنْ هَمُّ أحدِهم إلا بطنُه وفرجُه، فإن ترقَّتْ هِمَّته فوق ذلك كان همُّه مع ذلك في لباسه وزينته، فإن ترقَّتْ هِمَّته فوق ذلك كان في داره وبستانه ومركوبه؛ فإن ترقَّتْ هِمَّته فوق ذلك، كان همُّه في الرياسة والانتصار للنفس الكلبيَّة، فإن ارتفعت هِمَّته عن نصرة النفس الكلبية كان همه في نصرة النفس السَّبُعيَّة، وأما النفس الملَكيَّة فلم يُعطَها أحدٌ من هؤلاء.

** **فإن النفوس ثلاثة كلبية وسبعية وملكية:**

* **فالكلبية:** تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والعذرة.

* **والسبعية:** لا تقنع بذلك بل بقهر النفوس، والاستعلاء عليها بالحق والباطل.

* وأما الملكية: فقد ارتفعت عن ذلك، وشمَّرت إلى الرفيق الأعلى، فهمتها العلم والإيمان ومحبة الله تعالى، والإنابة إليه، والطمأنينة به، والسكون إليه، وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذه لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها، لا لتنقطع به عنه.

## فصل

* ثم ضرب الله ﷻ مثلاً ثانيًا وهو المثل الناري فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد:١٧]. وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها، فإنها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث، فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح، ويبقى خالصها فهو الذي ينفع الناس.

ولما ضرب الله ﷻ هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهداه رأسًا، وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهداه رأسًا، فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد:١٨].

والمقصود: أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة، فحياة الوجودَيْن الروحي والجسمي بالنور، وهو مادة الحياة كما أنه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه كما لا إضاءة بدونه، وكما أنه به حياة القلب فبه انفساحه وانشراحه وسعته، كما في الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل النورُ القلبَ انفسح وانشرح**». قالوا: وما علامة ذلك؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله**»[1].

ونور العبد هو الذي يصعد عمله وكلمه إلى الله تعالى، فإن الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب، وهو نور ومصدره عن النور، ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح

(١) الحديث لم يخرجه الترمذي، وإنما أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٥٢) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٦٥).

إلا الطيبة وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«خلقت الملائكة من نور، وخلقت الشياطين من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»**[١]. فلما كانت مادة الملائكة من نور كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم -تبارك وتعالى-.

* وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها، فيفتح لها باب السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة إلى أن يُنتهى بها إلى السماء السابعة، فتوقف بين يدي الله ﷻ، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عليين، فلما كانت هذه الروح روحًا زاكية طيبة نيرة مشرقة صعدت إلى الله ﷻ مع الملائكة.

* وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فإنها لا تفتح لها أبواب السماء، ولا تصعد إلى الله تعالى، بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها وعنصرها؛ لأنها أرضية سفلية، والأولى علوية سماوية، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هي منه، وهذا مبين في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الإمام أحمد وأبو عوانة الإسفراييني في صحيحه والحاكم وغيرهم، وهو حديث صحيح.

والمقصود: أن الله ﷻ لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نورًا، وأعظم الخلق نورًا أقربهم إليه وأكرمهم عليه[٢].

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

(٢) قال العلامة ابن باز رحمه الله:

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، أما بعد:

هذه الآيات البينات والحديث الشريف في خلق الملائكة من النور، وهو أن الله -جلَّ وعلا- إذا أراد بالعبد خيرًا شرح قلبه لذلك فانفتح وانشرح، وكان من أسباب ذلك الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله، فالقلوب مسبحة بالماء ومسبحة بالنور، فأما القلب الحي السليم مادته الحياة من الماء ومادته النور، والقلب الميت ليس كذلك مادته الخبث والظلمة.

فالمؤمن في صفاء قلبه وسلامه عقيدته هو في نور وفي حياة؛ لأنه يرى بنور الله ما فيه سعادته ونجاته، وفي قلبه من الحياة والبصيرة ما يجعله يختار الطيب ويدع الخبيث، ويختار الصالح الذي قام عليه النور، ويترك الخبيث =

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: **«إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل». فلذلك** أقول: جف القلم على علم الله تعالى»[١]. وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته، والله تعالى الموفق.

وهذا النور الذي ألقاه عليهم ﷻ هو الذي أحياهم وهداهم، فأصابت الفطرة منه حظها، ولكن لما لم يستقل بتمامه وكماله أكمله لهم وأتمه بالوحي الذي ألقاه على رسله -عليهم الصلاة والسلام- والنور الذي أوحاه إليهم، فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور، فانضاف نور الوحي والنبوة إلى نور الفطرة، نور على نور، فأشرقت منه القلوب، واستنارت به الوجوه، وحييت به الأرواح، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعًا

=

الذي فقد النور، فالله جعل رسوله نورًا وكتابه نورًا، وخلق الملائكة من النور، وهم حملة مشعل الهداية، وخلق الشياطين من النار، وخلق الإنسان من طين، فالمادة التي بها الحياة هي مادة الماء ومادة النور.

ينبغي للمؤمن أن يحرص على استقامة قلبه باتباع الكتاب والسنة، وباكتسابه الحلال الطيب، وبعده عما حرم الله من الخبائث التي تكسب قلبه خبثًا وقسوة ومرضًا، فاكتساب الحلال والاستقامة على طاعة الله كل هذا يكسب القلب حياة ونورًا، والمعاصي وكسب الخبيث يكسب القلب قسوة وظلمة.

فعلى حسب صلاح القلب واستقامة صاحبه مع الله؛ يكون نوره وتكون حياته، وعلى حسب انحرافه عن الطريق السوي وقلة علمه بالله ودينه تكون ظلمته وتكون قسوته.

فمن استقام قلبه مع الله بطاعته واتباع شريعته وتعظيم أمره ونهيه والفقه في دينه؛ استقام أمره من جهة الحياة ومن جهة النور، ومن غلب عليه الجهل والهوى؛ غلبت عليه مادة الظلمة ومادة الخبث والقسوة.

فالمؤمن يحاسب نفسه، هكذا المؤمن صاحب القلب الحي يحاسب نفسه، ويجاهدها في الله حتى تستقيم أحواله، وحتى يصير على الطريق السوي، وحتى يكون في جملة الأخيار، ومن جملة أولياء الله الذين استناروا بنور الله، وساروا على منهجه الذي اصطفى لعباده، فعاشوا في نور، وفي حياة طيبة، بخلاف الذين أعرضوا عن شرع الله ودينه وعما جاء به رسله، واتبعوا الهوى؛ فإن الغالب عليهم بسبب هذه القسوة والظلمة قسوة القلوب وظلمتها؛ نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٢)، وأحمد (٢٧٧٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦٤).

واختيارًا، فازدادت به القلوب حياة إلى حياتها.

ثم دلها ذلك النور على نور آخر هو أعظم منه وأجل، وهو نور الصفات العليا الذي يضمحل فيه كل نور سواه، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتها إلى القلب نسبة المرئيات إلى العين، وذلك لاستيلاء اليقين عليها، وانكشاف حقائق الإيمان لها، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن -تبارك وتعالى- بارزًا، وإلى استوائه عليه كما أخبر به ﷻ في كتابه، وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ، يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقضي وينفذ، ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى.

والرسل من الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الأوقات، نافذة بحسب إرادته ومشيئته، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السموات والأرض وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسع كل شيء رحمة وحكمة، ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن حاجاتها، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ذوي الحاجات.

وأحاط بصره بجميع المرئيات، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر، فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد، وخطر بقلبه، ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بقلبه بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا.

وله الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وله الملك كله وله الحمد كله، وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته إلى كل حي.

﴿يَسْئَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]. يغفر ذنبًا، ويفرج همًّا، ويكشف كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالًّا، ويرشد حيرانًا، ويغيث لهفانًا، ويفك عانيًا، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مبتلًى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

يمينه ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه، قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، يقبض سمواته كلها بيده والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئًا، وأنا الذي أعيدها كما بدأتها.

لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجة يُسألها أن يعطيها، لو أن أهل سمواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئًا ، ولو أنّ أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وإنسهم وجنهم وحيهم وميتهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئًا ، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وإنسهم وجنهم وحيهم وميتهم ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلاً منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.

ولو أن أشجار الأرض كلها -من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا- أقلام، والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد، ولم تنفد كلمات الخالق -تبارك وتعالى-، وكيف تفنى كلماته ﷻ وهي لا بداية لها ولا نهاية، والمخلوق له بداية ونهاية فهو أحق بالفناء والنفاد؟ وكيف يفني المخلوق غير المخلوق؟

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء،تبارك وتعالى، أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأولى من شكر، وأنصر من ابتغي، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم، حكمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته.

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

هو الملك الذي لا شريك له، والفرد فلا ند له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، والعلي فلا شبيه له ولا سَمِيَّ له، كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل ظل قالص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله.

لن يطاع إلا بفضله ورحمته، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته، يطاع فيَشكر، ويعصى فيتجاوز ويغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، ونسخ الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، عطاؤه كلام، وعذابه كلام: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]. فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات اضمحل عندها كل نور، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ولا تناله عبارة.

والمقصود: أن الذكر ينور القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه وفي البرزخ وفي يوم القيامة[١].

---

(١) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الكلمات التي ساقها المؤلف العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وبيان الحديث الذي ذكره وهو قوله ﷺ: «إن الله خلق عباده في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل» هذه النعمة العظيمة والرحمة العظيمة التي تفضل بها على من شاء من أوليائه تكون عند خلقهم، كما تقدم أن الله -جلَّ وعلا- إذا أراد بعبده الخير ألقى في قلبه النور؛ فإذا وقع في قلبه النور وهو الحق انفتح وانشرح، وعقل الحق وقبله، وكره الباطل وتركه، ولهذا يقول -جلَّ وعلا-: =

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ﴾ [النور:٣٥].

نور الفطرة التي يجعلها الله في القلب ثم نور الوحي، فإذا اجتمع هذان النوران سعد العبد غاية السعادة.

وكل مولود يولد على الفطرة كما قال النبي ﷺ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة -أي: فطرة الإسلام- فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» فمن رزقه الله البقاء على الفطرة وتعلم دين الله وأرشده الله إلى الحق مضى على الحق ونوره، ومن أراد الله شقاوته جاءته أسباب الشقاوة إما من جهة والديه أو من جهة ولدهما.

فالواجب على المؤمن: أن يضرع إلى الله، وأن يسأله ﷻ الهداية والتوفيق والرشاد؛ لأنه متى هداه وألقى في قلبه النور اهتدى واستقام، والله بعث الرسل جميعًا لهذا النور، بعثهم بهذا النور ليوجهوا به العباد ويرشدوا العباد إليه، فمن أصابه ذلك النور على أيدي الرسل اهتدى واستقام، وطابق النور الذي جاءت به الرسل على النور الذي سبق أن وقع في قلبه من الفطرة، ومن أخطأه ذلك وتابع الهوى والشيطان ضل، إما بسبب دافع السوء، وإما بسبب والديه، وإما بأسباب غيرهما من دعاة الباطل.

فعلى كل مؤمن وعلى كل مؤمنة: أن يتدبر ويتعقل ما خُلق له، وأن يتبع الوحي الذي هو القرآن العظيم؛ فإنه هو الحياة وهو الروح ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ وسماه نورًا: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، هذا الوحي الذي جاء به المصطفى ﷺ روح ونور، نور تحصل به الإضاءة والهداية، وروح تحصل به الحياة الطيبة، ومن رزقه الله الاستقامة على هدى الله على القرآن والسنة فقد حصلت له الروح التي بها الحياة، وحصل له النور الذي به البصيرة والإشراق.

ومن ضل عن ذلك ولم يهتد ولم يتبصر فاتته الحياة وفاته النور، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا مأمور بأن يطلب العلم ويطلب الهداية ويسعى إليهما فيتعلم ويتبصر، ويطلب من الله في طلبه العلم النافع والبصيرة النافذة والهداية إلى الصراط المستقيم، ومتى صدق في ذلك وألح لربه فالله يوفي بوعده ﷻ وهو القائل لرسوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وهو القائل ﷻ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ﴾ [النساء:٣٢]، وقد جعل كتابه واضحًا للناس، وهداية للناس وبصيرة.

فعلى المؤمن: أن يتدبر ويتعقل ويستفيد من كلام الله ﷻ حتى تحصل له الإضاءة والبصيرة بهذا النور، وحتى تحصل له الحياة بهذه الروح، فيحيا قلبه، ويستقيم قلبه على محبة الله ورسوله، ويستفيد بالعلم النافع والبصيرة النافذة فيعلم ما أوجب الله فيعمل به، ويعلم ما حرم الله فيجتنبه، ويعلم الحدود التي حدها الله ﷻ، وبهذا يعلم المؤمن شدة حاجته إلى تدبر كتاب الله والتبصر به، وشدة حاجته إلى ما قاله الرسول ﷺ من التوجيه والإرشاد والعلم حتى تحصل له بذلك الحياة الطيبة والنور والهداية والبصيرة، وفق الله الجميع.

## فصل

وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان، حتى إن من المؤمنين من يكون نور أعمـاله إذا صعدت إلى الله -تبارك وتعالى- كنور الشمس، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على الله ﷻ وهكذا يكون نوره الساعي بين يديه على الصراط، وهكذا يكون نور وجهه في القيامة، والله تعالى المستعان وعليه التكلان.

**السابعة والثلاثون:** أن الذكر رأس الأصول، وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله ﷻ ، فليتطهر وليدخل على ربه ﷻ يجد عنده كل ما يريد، فإن وجد ربه ﷻ وجد كل شيء، وإن فاته ربه ﷻ فاته كل شيء.

**الثامنة والثلاثون:** أن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله ﷻ ، فإذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويغني الفاقة، فيكون صاحبه غنيًا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله ﷻ فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

**التاسعة والثلاثون:** أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة كل الحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل.

ويفرق أيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية، وكلما كان أقوى طلبًا لله ﷻ وأشد تعلقًا به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر.

وأما تقريبه البعيد فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا، وتعظم في قلبه الآخرة، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت عنه الدنيا، كلما قَرُبَ من هذه مرحلة بَعُدَ من هذه مرحلة، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر، والله المستعان(١).

---

(١) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه فوائد من الذكر التي ذكرها المؤلف العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كلها صحيحة، هذا الذكر هو قوت القلوب وهو أساس سلامتها وصحتها، وهو رأس الأمر في إصلاح القلوب واستقامتها، وتثبيتها على الحق، فهو يسد فقرها ويسد حاجتها، ويقرب القلوب من الآخرة ويبعدها من الدنيا، ويجمع عليه قلبه وشمله بحب الله ومراقبته، والاستقامة على دينه، وذكر رحمته وإحسانه، وجوده وكرمه، وما وعد به أولياءه من النعيم المقيم في دار الكرامة، ويبعد عنه الشيطان ووساوسه وأسباب الشر والهلاك التي تصيبه عند الغفلة، والله -جلَّ وعلا- يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٣٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾ [الجن:١٧].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف:٣٦].

فالمؤمن غذاؤه وحياته وسعادته وتعود قلبه على ذكر الله بالمحبة والخوف والرجاء والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والدعاء وغير هذا من أنواع الذكر مزيد من ربه، فالصلاة ذكر والصدقات ذكر، والخوف ذكر والرجاء ذكر، والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير كله ذكر، والاستغفار ذكر، وأعظم الذكر وأفضل الذكر قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، وهذا يدل على أن التسبيح والتحميد والتكبير أفضل الكلام، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

=

الأربعون: أن الذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سِنَته، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

الحادية والأربعون: أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون،

=

وقال أيضًا -عليه الصلاة والسلام-: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»، ولما دخلﷺ على جُوَيرِيَةَ عندما خَرجَ مِن عِندها بُكرة حينَ صَلى الصبحَ وهيَ في مَسجِدِها ثم رجعَ بعدَ أن أضحَى وهي جالسَةٌ فقالَ: «ما زلتِ على الحالِ التي فارَقتُكِ عليها». قالت: نعم، قال النبيﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات -ثلاث مرات- لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته».

فينبغي الإكثار من هذه الكلمات ومن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والإكثار من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، ويقول النبيﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كانت له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل».

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومَه ذلك حَتَّى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجلٌ عمل أكثر منه». وهذا فضل عظيم وفضل كبير.

فينبغي الإكثار من ذكر الله ومن تسبيحه وتحميده، ومن تهليله وتكبيره، واستغفاره ليلاً ونهارًا ترجو بها رضا الله وتخشى عقابه، وتطرد عنك الشيطان، فالشيطان عند الغفلة يهجم على قلبك ويزين لك كل شيء، وعند ذكرك يفر منك ويبعد، فعليك بالإكثار من ذكر الله صدقًا من قلبك أينما كنت، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣].

قالت عائشة ؓ: «كان النبيﷺ يذكر الله على كل أحيانه قائمًا قاعدًا مضطجعًا ماشيًا واقفًا -عليه الصلاة والسلام-»، هكذا ينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله بقلبه ولسانه وأعماله.

فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها، كما يُبنى الحائط على أسه، وكما يقوم السقف على حائطه، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم، فالغفلة نوم القلب أو موته.

**الثانية والأربعون**: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث الإلهي: **«أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»**[1].

* **وفي أثر آخر**: «أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعايب».

* والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي، وهي معية لا تدركها العبارة، ولا تنالها الصفة، وإنما تعلم بالذوق، وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث، بين الرب والعبد، وبين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصارى، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود، وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات، بل ليس عندهم رب وعبد، ولا خلق وحق، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب، والخلق المشبه هو الحق المنزه؛ تعالى الله عما يقول

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (١٠٥٩٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٦).

الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا.

والمقصود: أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر، وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ولج في باب الحلول والاتحاد ولابد(١).

**الثالثة والأربعون:** أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله ﷻ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله ﷻ.

---

(١) **قال العلامة ابن باز رحمه الله:**

هذه فوائد للذكر كلها واضحة، فإن العبد تعتريه الغفلة والنسيان والذهول والإعراض، فإن أكثر من ذكر الله انفتح القلب، وعادت فيه حياته وصفاؤه، وصار ذلك من أسباب محاربته لمعاصي الله، ومحاربته لكل ما يثبطه عن الخير، وصار ذلك حياة له حياة عظيمة تعينه على الحق والهدى، خلافًا للغافل، فالذاكر حي القلب حي الجوارح، حي النفس قريب من الخير، بعيد من الشر، يطلب الحق، ويتقرب إلى الله بالحق، ويتباعد عمَّا يضره وما يسبب قسوة قلبه، ولهذا يقول -جلَّ وعلا-: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾، ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، والإكثار من ذكر الله من التقوى والإحسان.

جدير بالمؤمن أن يجتهد في الإكثار من ذكر الله ويكون ذاكرًا لله ﷻ ففيه حياة قلبه وفيه سلامة أخلاقه من الدنس، وفيه حث له على الحق، ونبراس له إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وإبعاد له عن صفات المجرمين وأخلاق المجرمين، فالله ﷻ في الحقيقة غاية المقصود للعابد الذاكر، والله غاية المطلوب، وفي رضاه ومحبته وفي التقرب إليه راحة القلوب، ونعيم الأرواح وأنس النفوس.

فالله مع الذاكرين والمتقين بتوفيقه وإرشاده لهم وحبه لهم وتيسير أمورهم، وإبعادهم عن مزالق الضلالة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، ويقول لموسى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦]، ويقول للنبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠].

المقصود: أن الذكر لله، كما أنه مفتاح القلوب، ويَرُدُّ لها حياتها ونشاطها، وهو أيضًا يقرب من الله، ويسبب محبته -جلَّ وعلا-، ويوصي بطاعته والتقرب إليه، ويسبب الحذر من معاصيه وما يغضبه ﷻ، هكذا أهل السنة والجماعة فإنهم عرفوا الحق بأسمائه وصفاته، وأنه ربهم وإلههم وعبدوه وأكثروا من ذكره واتبعوا شريعته، بخلاف أهل الباطل والغفلة والإعراض فإنهم اتبعوا أهواءهم، وأعطوا نفوسهم شهواتها، فضلوا وأضلوا.

وقد تقدم أن: «من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي..» الحديث[١].

* وذكر ابن أبي الدنيا، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء ﷺ: «إن رجلاً أعتق مائة نسمة. قال: إن مائة نسمة من مال رجل كثير، وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار، وألا يزال لسان أحدكم رطبًا من ذكر الله ﷻ».

* وقال ابن مسعود: «لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب إلي من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله ﷻ».

* وجلس عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود فقال عبد الله بن مسعود: «لأن آخذ في طريق أقول فيه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله ﷻ. فقال عبد الله بن عمرو: لأن آخذ في طريق فأقولهن أحب إلي من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله ﷻ».

* وقد تقدم حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟». قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ قال: «ذكر الله»[٢]. رواه ابن ماجه والترمذي وقال الحاكم: صحيح الإسناد[٣].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص٤٤).

(٣) قال العلامة ابن باز رحمه الله:

هذه الأحاديث وما جاء بمعناها كلها تدل على فضل الذكر، فينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله في أيامه ولياليه، وفي جميع ساعاته؛ لأن الله ﷻ رتب عليه أجرًا عظيمًا، وخيرًا كثيرًا، وهو من أسباب ثبات القلب واستقامة القلب وصلاحه، وانقياده إلى الخير، ومن أسباب طرد الشياطين، ومن أسباب رقة القلب، فينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله ﷻ، ولهذا قالت عائشة ﵂: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

فالإكثار من ذكر الله هو دأب الصالحين، وفيه خير عظيم، وفي هذا الحديث يقول ﷺ: «ألا أنبئكم بخير =

أعمالِكُم، وأزكَاهَا عِندَ مَليككُم وأرفعِهَا في درجاتِكُم وخيرٌ لكم من إنفَاق الذَّهبِ والوَرِقِ وخيرٌ لكم من أن تَلقَوا عَدُوَّكُم فتضربُوا أعناقَهُم وَيضربوا أعناقكُم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكرُ الله تعالى».

فالإكثار من ذكر الله أمر مطلوب أينما كنت مع القيام بالأعمال الأخرى، ولهذا قال أبو الدرداء -لما ذكر عتق الرقاب وفضله-: إن أفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار، وهو أن الإنسان يكثر من ذكر الله ﷻ فالحياة بالإيمان والاستقامة على طاعة الله ورسوله التي أوجب مع الإكثار من ذكر الله هذه حياة طيبة، يقول الله -جلَّ وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٢]، ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٣٥]. الإكثار من ذكر الله مع القيام بما أوجب الله وترك ما حرم الله ولزوم الإيمان والاستقامة عليه فيه الفضل العظيم.

ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة في يوم؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرزًا من الشيطان يومه ذلك حتَّى يمسي ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء إلا رجلٌ عملَ أكثر من عمله»، وهذا فضل عظيم يدل على فضل هذه الكلمة وتكررها.

ويقول أيضًا -عليه الصلاة والسلام-: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشرَ مرَّاتٍ؛ كانت له عِدلَ أربعِ رِقَابٍ من وَلَدِ إسماعيلَ».

وقال: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وقال أيضًا -عليه الصلاة والسلام-: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». هذه كلمة عظيمة أنت قادر عليها أينما كنت، فضل عظيم وعمل صالح، بالتأكيد أنت قادر عليه، في البر والبحر، في الليل والنهار، في البيت والخارج، في كل مكان أنت قادر، بخلاف الذهب والفضة والأموال قد تعثر وقد تقدر عليه، لكن ينبغي لكل مؤمن أن يكثر من هذا الخير العظيم الميسور المتيسر، الإكثار من قراءة كتاب الله والإكثار من ذكر الله بجميع أنواع الذكر فيه الخير العظيم.

وفي الحديث يقول ﷺ لما قال الرجل: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأخبرني بعمل أتمسك به قال: «لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله» وهذا، فمشروع للمؤمن أينما كان أن يكون لسانه رطبًا بذكر الله في كل مكان بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار، يدعو ربه ويستغيث به، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ودعوة إلى الله وإرشاد إلى الخير لا يزال مشغولاً بالخير أينما كان.

## الذكر رأس الشكر

**الرابعة والأربعون:** أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

* وذكر **البيهقي** عن زيد بن أسلم: أن موسى ﷺ قال: «يا رب قد أنعمت علي كثيرًا، فدلني على أن أشكرك كثيرًا. قال: اذكرني كثيرًا، فإذا ذكرتني كثيرًا فقد شكرتني كثيرًا، وإذا نسيتني فقد كفرتني».

* وقد ذكر **البيهقي** أيضًا في كتاب شعب الإيمان عن عبد الله بن سلام قال: «قال موسى ﷺ: يا رب، ما الشكر الذي ينبغي لك؟ فأوحى الله تعالى إليه ألاَّ يزال لسانك رطبًا من ذكري. قال: يا رب إني أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها. قال: وما هي؟ قال: أكون جنبًا أو على الغائط أو إذا بُلْتُ. فقال: وإن كان. قال: يا رب، فما أقول؟ قال: تقول: سبحانك وبحمدك وجنبني الأذى. وسبحانك وبحمدك فقني الأذى».

* **قلت:** قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه» ولم تستثن حالة من حالة، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته .

* وأما في حال التخلي فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر، وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها، وكذلك شرع لأمته من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «**باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»[1]. وأما الذكر على نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب؛ لأنه لابد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه، فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفًا بالمحال كما قال القائل:

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

(١) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأما الذكر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا، ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ، ولا نقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

* **وقال عبد الله بن أبي الهذيل:** «إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق، ويحب أن يذكر على كل حال، إلا على الخلاء». ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة وهي من أجل الذكر، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهذه الحال التقنع بثوب الحياء من الله تعالى وإجلاله وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله، فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذي به.

* وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه، وقال: «يا لها نعمة، لو يعلم الناس قدرها».

وكان بعض السلف يقول: «الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى في منفعته وأذهب عني مضرته».

وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي من بها عليه، وهي من أجل نعم الدنيا، فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر، فالذكر رأس الشكر.

* وقال النبي ﷺ لمعاذ: **«والله يا معاذ إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**[1]. فجمع بين الذكر والشكر كما جمع ﷻ بينهما في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

(٢) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآثار التي ذكرها المؤلف العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الوابل الصيب كلها تدل على عظم شأن الذكر، وأنه عبادة عظيمة، تقدم من الآيات والأحاديث ما يدل على فضل الذكر، وأنه من أفضل العبادات قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وأفضل من ذلك قول: «لا إله إلا الله» وهي أفضل الذكر، وهكذا «سبحان الله والحمد لله والله أكبر».

=

ويقول النبيﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

ويقولﷺ: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

ويقولﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله».

كما يقول -عليه الصلاة والسلام-: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات؛ كان كمن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل».

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه».

فالذكر رأس الشكر؛ فالله يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، فالاستقامة على الذكر قد تربى قولاً وعملاً، فالخوف من الله ذكر، فالخوف والمحبة والرجاء والخشية لله ذكر بالقلب، والإخلاص لله ذكر بالقلب، والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، وقول لا حول ولا قوة إلا بالله، والدعاء، والاستغفار ذكر باللسان، والصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقات وأشباه ذلك عبادة بدنية ذكر بالعمل.

فالمؤمن يذكر الله بقلبه ولسانه وعمله في جميع الأحيان.

قالت عائشة ﵂: «كان النبيﷺ يذكر الله على كل أحيانه». يعني: في البيت، وفي الطريق، وفي الحمام، وفي كل مكان، ولكن عند الحمام فيكون الذكر بالقلب، ولا يتكلم بالذكر عند قضاء الحاجة لكن بقلبه، وفي سائر المواضع بالقلب واللسان والعمل؛ ومما يدل على أنه لا يتكلم بالذكر عند قضاء الحاجة -أي: لا يكون باللسان- أن النبيﷺ مر عليه إنسان وهو يقضي حاجته فسلم عليه فلم يرد عليه السلام حتى توضأ واعتذر إليه، فلما فرغ رد عليه وقال: «إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة».

والمقصود: أن الإنسان يذكر الله بقلبه ولسانه وجوارحه في جميع الأوقات، ولكن في حال التخلي في حال قضاء الحاجة -البول والغائط- يكون الذكر بالقلب لا باللسان، ويقضي حاجته وقلبه مشغول بالله، يتذكر نعمه، يتذكر إحسانه، وإذا خرج من الغائط يقول: «غفرانك» فكان الرسول ﷺ إذا خرج يقول: «غفرانك» ولماذا غفرانك؟ لأن العبد كثير التقصير وقضاء الحاجة من نعم الله، والله أنعم عليك =

الخامسة والأربعون: أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكره، فإنه أتقاه في أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره، فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر، والذكر يوجب له القرب من الله ﷻ والزلفى لديه، وهذه هي المنزلة.

* وعمال الآخرة على قسمين: منهم من يعمل على الأجر والثواب، ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى ويسابق إلى القرب منه.

وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾. فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾. فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب،

---

=

حتى قضيت حاجتك، وخروجه من الغائط من أجلِّ نعم الله عليه، والعبد مقصر في الشكر ولذلك يقول عند الخروج «غفرانك»؛ بمعنى: اللهم اغفر لي تقصيري في شكري لنعمك، وعند دخول الغائط يقول: «باسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث»، وعند الخروج يقدم اليمنى، ويقول: «غفرانك»، وعند الدخول يقدم اليسرى، ويقول: «باسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث».

وإذا دخل السوق يشغل نفسه بذكر الله وفي الطريق، وفي المجلس: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٣].

فجملة العبادة التي شرعها الله كلها ذكر لله قولية أو عملية، بالقلب أو بالجوارح كلها ذكر كلها عبادات لله، فالذكر أيسر العبادات وأفضلها ميسر مُسهَّل وهو أفضل العبادات، بالقلب واللسان والعمل يقوم مقام الصدقات والأعمال الكثيرة ، فإذا جمع العبد بين الذكر باللسان والذكر بالعمل والصدقات والمسارعة إلى أنواع الطاعات يفوز في الآخرة بالجنات العالية، والقلب الغافل بعيد من الله.

فالمؤمن يكون قلبه عامرًا بذكر الله، ولا أشد من أعداء الله الغافلين قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩] المعرضون عن الله، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦]، والعبد الغافل عن ذكر الله هجم عليه الشيطان عدو الله لما فيه من الضعف، وإذا ذكر الله طرد الشيطان وصار يشجعه على كل عمل، كل عمله، وفق الله الجميع.

ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٨-١٩]. فقيل: هذا عطف على الخبر عن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾. أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم، ثم أخبر عنهم بخبر آخر وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور: أنهم صديقون وشهداء. فهذه هي المرتبة والمنزلة.

ثم أخبر عنهم بأن لهم أجرهم ونورهم فهذا هو الثواب والجزاء.

وقيل: بل تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾. ثم ابتدأ ذكر حال الشهداء فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والإحسان، ثم المؤمنين الذي قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتلئوا منه، فهم الصديقون وهم أهل العلم والعمل، والأولون أهل البر والإحسان، ولكن هؤلاء أكمل صديقيةً منهم.

* ثم ذكر سبحانه الشهداء وأنه تعالى يجري عليهم رزقهم ونورهم؛ لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أعاضهم عليها أن جعلهم أحياء عنده يرزقون فيجري عليهم رزقهم ونورهم فهؤلاء السعداء، ثم ذكر الأشقياء فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد:١٩].

والمقصود: أنه ﷻ ذكر أصحاب الأجور والمراتب، وهذان الأمران هما اللذان وعد بهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى –عليه الصلاة والسلام– فقالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء:٤١-٤٢]. أي: أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندي والقرب مني.

فالعمال عملوا على الأجور، والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله، وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء.

* وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي –رحمه الله تعالى– قال: قال موسى عليه السلام: «يا رب، أي خلقك أكرم عليك؟ قال: الذي لا يزال لسانه رطبًا بذكري. قال: يا رب، أي خلقك أعلم؟ قال: الذي يلتمس إلى علمه علم غيره. قال: يا رب، أي خلقك أعدل؟ قال: الذي يقضي على نفسه مثلما يقضي على الناس. قال: يا رب، أي خلقك أعظم ذنبًا؟ قال: الذي

يتهمني. قال: يا رب، وهل يتهمك أحد؟ قال: الذي يستخيرني ولا يرضى بقضائي».

* وذكر أيضًا عن ابن عباس قال: «لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال: يا رب، أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني».

* وقال كعب: «قال موسى عليه السلام: يا رب، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فقال تعالى: يا موسى، أنا جليس من ذكرني، قال: إني أكون على حال أجلك عنها. قال: ما هي يا موسى؟ قال: عند الغائط والجنابة. قال: اذكرني على كل حال».

* وقال عبيد بن عمير: «تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهبًا».

* وقال الحسن: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين كانت: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. قال: فيقومون فيتخطون رقاب الناس.

قال: ثم ينادي منادٍ: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين كانت: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]. قال: فيقومون فيتخطون رقاب الناس.

قال: ثم ينادي منادٍ: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الحمادون لله على كل حال؟ قال: فيقومون وهم كثير. ثم يكون التبعة والحساب فيمن بقي».

* وأتى رجل أبا مسلم الخولاني فقال له: أوصني يا أبا مسلم. قال: اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرة. فقال: زدني. فقال: اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنونًا . قال: وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالى فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم فقال: ليس هذا بالجنون يا بن أخي، ولكن هذا دواء الجنون»[١].

---

(١) قال العلامة ابن باز رحمه الله:

ومن فوائد الذكر أن صاحبه يفوز بالمنزلة العالية عند الله عز وجل؛ لأن ذكر الله دائمًا يحمله على أداء الفرائض وترك المحارم؛ وبه يكون في المنزلة العالية عند الله عز وجل، وهم الرسل وأتباعهم من خواص المؤمنين الذين شغلوا أنفسهم بطاعة الله، وشغلوا قلوبهم وألسنتهم بذكر الله، فالذين شغلوا نفوسهم =

وألسنتهم بذكر الله هم أصحاب المراتب العالية.

ولما سئل رسول الله ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي؛ فأخبرني بأمر جامع أتمسك به. قال ﷺ مبينًا له: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**».

فينبغي للمؤمن أن تكون أوقاته معمورة بذكر الله كما قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]، قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٣]. وقال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]. وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**سبق المفردون**» قيل: ما المفردون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»؛ أي: سبقوا إلى كل خير، فينبغي للمؤمن أن يجتهد في أن يكون قلبه ذاكرًا ولسانه ذاكرًا، قلبه ذاكرًا من خوف الله ومراقبته وتعظيمه والشوق إليه، والتنعم بذكره -جلَّ وعلا-، وتدبر آياته ومخلوقاته التي تدل على عظمته ﷻ، ويشغل أيضًا لسانه بذكر الله في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، ويشغل الجوارح بأنواع الطاعات من صلاة وغيرها.

هكذا المؤمن أوقاته معمورة مع كونه في أعمال الدنيا أيضًا كالبيع والشراء والزراعة وغير ذلك لا يترك حاجته من الدنيا يعمل مع ذكر الله ﷻ فإن هذه الأعمال لا تشغل عن ذكر الله بالقلب واللسان.

يقول النبي ﷺ لما سئل -عليه الصلاة والسلام- عن أحب الأعمال إلى الله قال: «**الصلاة على وقتها**» قيل: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» قيل: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» فالصلاة ذكر، وبر الوالدين ذكر، والجهاد ذكر، الصدقة ذكر، فإن الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان ويكون بالجوارح. ويقول ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**». ويقول ﷺ: «**الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**». ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «**لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**». ويقول -عليه الصلاة السلام-: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

فأنت يا عبد الله: اشغل هذا اللسان وهذه الجوارح بذكر الله قائمًا وقاعدًا وفي أي مكان، فالقلب يكون معمورًا بذكر الله من خوف الله ورجائه وتعظيمه والأُنس بذكره، والشوق إليه، والتدبر لآياته الدالة على عظمته، والتدبر لنعمائه التي أنعمها عليك حتى تشكره سبحانه، وهكذا اللسان تشغله بالاستغفار، بالدعاء، بالتسبيح، بالتهليل، بالتحميد، بالتكبير... إلى غير ذلك، هكذا الجوارح بالرِّجلِ، باليد... إلى غير ذلك تشغلها بأعمال الخير حتى زراعتك وتجارتك بقصد أكل الحلال، والاستغناء عن سؤال الناس عبادة وقربة وطاعة، وفق الله الجميع.

**السادسة والأربعون:** أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

* وذكر حماد بن زيد، عن المعلى بن زياد : «أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي. قال: أذبه بالذكر». وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة. فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله ﷻ .

**السابعة والأربعون:** أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى.

* **قال مكحول** : ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء.

* وذكره **البيهقي** عن مكحول مرفوعًا ومرسلاً.

فإذا ذكرته شفاها وعافاها، فإذا غفلت عنه انتكست، كما قيل:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

**الثامنة والأربعون:** أن الذكر أصل موالاة الله ﷻ ورأسها، والغفلة أصل معاداته وأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه ﷻ حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه ويعاديه.

* **قال الأوزاعي** : قال حسان بن عطية: «ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره». فهذه المعاداة سببها الغفلة، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره، فحينئذ يتخذه عدوًّا كما اتخذ الذاكر وليًّا[1].

---

(١) قال العلامة ابن باز رحمه الله:

فإن من فوائد الذكر: أنه من أسباب حياة القلب، ومن أسباب حياته ومن أسباب استقامته ومسارعته للخيرات، فإذا غفل القلب عن ذكر الله صار من أسباب القسوة والموت، فذكر الله -جلَّ وعلا- بالقلب واللسان والعمل حياة للقلب، ولين له، ورقة له وشفاء له من أمراضه وموالاة لربه ﷻ، أما الغفلة فمن أسباب القسوة ومن أسباب البعد عن الله ﷻ فينبغي للمؤمن أن يجتهد في الإكثار من ذكر الله بقلبه ولسانه وأعماله، يقول الله ﷻ : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ =

# الذكر جلاب للنعم

**التاسعة والأربعون:** أنه ما استجلبت نعم الله ﷻ واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى، فالذكر جلاب للنعم دفَّاعٌ للنقم، قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. وفي القراءة

=

قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦]، وفي الحديث: «إن أبعد القلوب من الله القلب القاسي»؛ فالقلب القاسي أبعد شيء عن الله وعن محبته والمسارعة إلى مغفرته، والقلب اللين معمور بذكر الله أقرب شيء إلى طاعة الله وموالاته ومحبته والبعد عن مساخطه.

وقال -جلَّ وعلا-: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩]، أولئك هم الغافلون لا ينتفعون بأسماعهم ولا بقلوبهم ولا بأبصارهم، بخلاف الذاكر لله المتنبه الذي يعالج أمراض قلبه والذي يعالج أمراض بدنه، ويعالج أمراض مجتمعه بطاعة الله ورسوله وبذكره ﷻ.

وأعظم الذكر وأفضله باللسان **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»** هذه الكلمة هي أعظم الذكر، وهي كلمة التوحيد، يقول ﷺ: **«خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»**.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله»**.

وقال النبي ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»**.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: **«الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»**.

فلتجتهد يا عبد الله في ملازمة الذكر بالقلب واللسان والخوف من الله ومراقبته، والإكثار من العبادة من صلاة وغيرها كل هذا حياة للقلب، فإذا غفل القلب عن ذكر الله باللسان وبالعمل استولى عليه الشيطان فأملى عليه السوء وأملى عليه السيئات والأفكار الرديئة حتى يكفر بالله قال -جلَّ وعلا-: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

الأخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]. فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وأكثر ذكرًا كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص، ذكرًا بذكر ونسيانًا بنسيان، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧]. والذكر رأس الشكر كما تقدم، والشكر جلاب النعم وموجب للمزيد.

* **قال بعض السلف -رحمة الله عليهم-:** «ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك».

## صلاة الملائكة على الذاكر

**الخمسون:** أن الذكر يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣]. فهذه الصلاة منه -تبارك وتعالى- ومن ملائكته إنما هي على الذاكر له كثيرًا وهذه الصلاة منه ومن ملائكته هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله -تبارك وتعالى- وملائكته، وأُخرجوا من الظلمات إلى النور، فأي خير لـم يحصل لهم بذلك، وأي شر لـم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله، وبالله التوفيق[1].

---

(١) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه فوائد أيضًا من فوائد الذكر، تقدم أن الذكر هو في الحقيقة الإيمان كله؛ لأن الذكر يكون بالعمل ويكون بالقلب ويكون باللسان كما قلنا، فالخوف من الله ومراقبته وتعظيمه وخشيته هذا من الذكر،والنطق باللسان بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء هذا من الذكر، وأداء ما فرض الله من الصلوات والزكوات والصيام والحج والجهاد من الذكر، فالذاكر لله مشغول القلب والجوارح واللسان بطاعته ﷻ.

فالله يدافع عن الذين آمنوا والإيمان الكامل يكون بالذكر بالقلب واللسان والعمل، فالله يدرأ عنهم =

الحادية والخمسون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يأيها الناس ارتعوا في رياض الجنة**» قلنا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «**مجالس الذكر**». ثم قال: «**اغدوا وروحوا واذكروا، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه**»[(١)].

---

المكاره، وينيلهم المحاب والمطالب العالية بسبب ذكرهم إياه، وبطاعة أوامره وترك نواهيه، وهو رأس الشكر فالله يزيدهم من فضله بذكرهم إياه قلبًا وقالبًا وعملاً، فالذاكر لله -جلَّ وعلا- شاكر، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، ومن شكر الله العمل الصالح بالقلب واللسان والجوارح، وخوف الله ومراقبته وتعظيمه وخشيته نوع من الذكر، والتسبيح والتهليل والتحميد نوع من الذكر وهكذا الأعمال الصالحة نوع من الذكر، فالمؤمن هكذا يذكر الله بقلبه ولسانه وأعماله.

وهكذا ضد الغفلة، فالغافل بعيد من الله بعيد من الهدى، والذاكر قريب من الله قريب من كل خير، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، والله يصلي وملائكته على الذاكرين، فأي نعمة وأي فضل أكبر من هذا؟ يقول -جلَّ وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣]، وهذا يدل على أن ذكر الله من أسباب صلاة الله وملائكته ومن أسباب إخراج العبد من الظلمات إلى النور.

فينبغي للمؤمن الإكثار من ذكر الله بقلبه ولسانه وعمله، فلا يغفل عنك تكفل برزقك والإحسان إليك وأعطاك الصحة ومَنَّ عليك بألوان من الخير، فإياك أن تغفل عن ذكره والله يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ -فيعش؛ أي: يغفل- ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٧]. فالغافل يبتلى بالشياطين تستولي عليه وتصده عن ذكر الله، والذاكر بقلبه ولسانه وجوارحه والمعظم لحرمات الله يطرد الشيطان ويصلي عليه الرحمن وملائكته، ونسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٥٠١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٧)، وضعفه الألباني في الترغيب والترهيب (٩١٨).

الثانية والخمسون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يُذكر الله تعالى فيه، كما أخرجا في الصحيحين من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة فضلاً عن كتاب الناس، يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم تعالى -وهو أعلم بهم- ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا -والله- ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تحميدًا وتمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. قال: فيقول: ما يسألوني؟ قالوا: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا -والله- يا رب ما رأوها. قال: فيقول: كيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة. قال: فيقول: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا -والله- يا رب، ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد منها مخافة. قال: يقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**»(١).

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم فلهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]. فهكذا المؤمن مباركٌ أين حل، والفاجر مشئوم أين حل.

فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلٌّ مضاف إلى شكله وأشباهه، وكل امرئ يصبو إلى ما يناسبه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه فوائد كالتي قبلها في بيان عظم شأن الذكر وفضله، وأن الله -جلَّ وعلا- رتب عليه من الجزاء والحسنات الشيء الكثير، قد أكثر الله من ذكره في كتابه العظيم ترغيبًا للعباد في الإكثار من ذكره كما قال -جلَّ وعلا- في
=

كتابه العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].
قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠]. قال -جلَّ وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]. قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن قال سبحانه: في الصفة العاشرة: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]. قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

فذكر الله له شأن عظيم بالتسبيح والتهليل والتحميد وسائر العبادات، فالصلاة ذكر، والصوم ذكر، والصدقات ذكر، وهكذا كل طاعة لله يفعلها العبد طاعة لله ومحبة له فهي ذكر، وتكون بالقلب وتكون باللسان وتكون بالعمل، ويروى عنه -عليه الصلاة والسلام-: «قوموا إلى مجالس رياض الجنة»، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «مجالس الذكر».

ويروى عنهﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حِلَقُ الذكر».

وهي مجالس الملائكة، فإن الملائكة تلتمس مجالس الذكر، فإذا وجدت تنادت -نادى بعضها-: هلموا إلى حاجتكم، مجالس الذكر مجالس الأخيار، مجالس الملائكة مجالس يذكر فيها الله، تعين على طاعته، تعين على ذكره، تعين على ترك معصيته، جلساؤها هم أولياء الله الصادقون.

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من ذكر الله، وأن يكون من أصحاب هذه المجالس بالعلم والتبصر والتفقه في الدين، حلق الذكر حلق العلم: قال الله وقال الرسول.

فالمؤمن في أشد الحاجة إلى التبصر والتعلم والتفقه في الدين، وأن يشغل جوارحه ولسانه بذكر الله وتعظيمه، هكذا يزداد رفعة عنده سبحانه ودرجات ومنزلة، والملائكة تحف بأهل الذكر، وهكذا مجالس الذكر تحفها الملائكة، فإذا صعدوا يسألهم الله -جلَّ وعلا- وهو أعلم بعباده، يسألهم لإظهار الفضل، لإظهار فضل الذاكرين، فيسألهم: «ماذا يقول عبادي؟ يقولون: يسبحونك ويحمدونك ويذكرونك، فيقول -جلَّ وعلا-: وهل رأوني؟ فيقولون: لا يا ربنا وما رأوك -وهو يعلم ذلك لكنه لإظهار الفضل-، فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك يا ربنا لكانوا لك أشد تعظيمًا وأشد لك ذكرًا، فيسألهم عَمَّ يسألون؟ قالوا: يسألونك الجنة، يقول: هل رأوها؟ يقولون: ما رأوها، يقول: كيف لو رأوها؟ تقول الملائكة: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأشد لها رغبة، ومِمَّ يتعوذون؟ قالوا: من النار؟ فيقول: هل رأوها؟ قالوا: ما رأوها -ويعرف سبحانه أنهم لم يروها-،

## مباهاة الملائكة

الثالثة والخمسون: أن الله ﷻ يباهي بالذاكرين ملائكته، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟**». قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا. قال:«**آلله ما أجلسكم إلا ذاك**». قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله -تبارك وتعالى- يباهي بكم الملائكة**»[1].

فهذه المباهاة من الرب -تبارك وتعالى- دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له، وأن له

---

=

**فكيف لو رأوها؟ لكانوا أشد منها هربًا، فيقول -جلَّ وعلا-: أشهدكم أني قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما طلبوا، وأمنتهم مما حذروا».**

المجلس الذي فيه ذكر يعينك على طاعة الله، ويذكرك بالله، وبالجنة والنار، وبزوال هذه الدنيا، بخلاف مجالس الغفلة فإنها تعين على الدنيا وتنسي الآخرة.

فينبغي للمؤمن: أن يكون حريصًا على المجالس التي فيها الذكر، فيها تذكر الآخرة، فيها العلم والتفقه في الدين حتى يزداد علمًا وخيرًا.

وهؤلاء السَّيَّاحُون من الملائكة غير المتعاقبين في الليل، غير الحفظة وغير السياحين ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، فإذا صلوا العصر عرج أهل النهار إلى الله -جلَّ وعلا-، وبعد صلاة الصبح يعرج الذين باتوا، والله يسألهم ويقول: «**كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**». فهنيئًا لمن حافظ على الصلاة في جميع أوقاته تشهد له الملائكة عند ربها، وما أعظم حسرة من أضاع هذا الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية والسلامة.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠١).

مزية على غيره من الأعمال.

**الرابعة والخمسون:** أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك؛ لما ذكر ابن أبي الدنيا، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي، عن أبيه عن أبي الدرداء قال: «الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك»[(١)][(٢)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٣٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٦٦).

(٢) **قال العلامة ابن باز رحمه الله:**

هذان الحديثان يتعلقان بفوائد الذكر، الذكر كما تقدم له فوائد عظيمة، ومن أعظم الفوائد يقول -جلَّ وعلا-: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، من ذكر الله في الدنيا والأرض ذكره الله في السماء، بالثناء عليه، «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منه» وهذا فضل عظيم، ومن ذلك أن الله يباهي بالذاكرين الملائكة تعظيمًا لشأنه وتعظيمًا لشأنهم، «انظروا إلى عبادي يفعلون كذا وكذا»؛ يعلي شأنهم عند الملائكة، ويرفع قدرهم عند الملائكة بهذا الذكر.

ولهذا لما خرج النبي ﷺ على جماعة من أصحابه جالسين سألهم: «لِـمَ جلستم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله، ونذكر نعمته علينا أن هدانا للإسلام، وأخرجنا من دعوة الكفر، فقال لهم ﷺ: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟»، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»، يذكرهم عند الملائكة تعظيمًا لشأنهم وتعظيمًا لشأنه.

فلذلك احرص على الذكر بالتسبيح والتهليل والتحميد والدعاء والثناء على الله بما مَنَّ الله به على العبد من الهداية والتوفيق وصلاح النية، وانشراح الصدر بالخير والنعم الأخرى، ويذكر الله ويتذكر وينظر ويحاسب نفسه، ويذكر الله ويثني عليه ويحمده، ويسأله التوفيق، والإعانة على الخير، والتوفيق لطاعته، ويسأله الحماية من معصيته، ويضرع إليه ويذكره كثيرًا، هذا من فضله سبحانه وتعالى على عبده إذا ذكره أن يذكره في الملأ الأعلى.

فينبغي لك أيها المؤمن أن تكون حريصًا على هذا الخير العظيم، مستحبًّا لذكره سبحانه وتعالى طالبًا لمرضاته، تحاسب نفسك وتجاهدها حتى تلتزم بذكره حتى تبتعد عن أسباب غضبه، والعبد في خير عظيم مادام ذاكرًا لله، ما زال لسانه رطبًا من ذكر الله، وفي الحديث: يقول ﷺ لما جاءه رجل فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بأمر أتمسك به، قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله».

=

الخامسة والخمسون: أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]. قيل: المصدر مضاف إلى الفاعل؛ أي: لأذكرك بها، وقيل: مضاف إلى المذكور؛ أي: لتذكرني بها، واللام على هذا لام التعليل. وقيل: هي اللام الوقتية -أي: أقم الصلاة عند ذكري- كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء:٧٨]. وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وهذا المعنى حقٌّ يراد بالآية لكن تفسيرها به وأنه هو معناها، فيه نظر؛ لأن هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف، والذكر مصدر إلا أن يقدر بزمان محذوف -أي: عند وقت ذكري- وهذا محتمل، والأظهر أنها لام التعليل -أي: أقم الصلاة لأجل ذكري-.

ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذكر العبد ربه فذكر الله تعالى سابق على ذكره، فإنه لما ذكره ألهمه ذكره، فالمعاني الثلاثة حق.

وقال ﷻ: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]. فقيل: المعنى: إنكم في الصلاة تذكرون الله وهو ذاكر من ذكره، ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه، وهذا يروى عن ابن عباس وسلمان وأبي الدرداء وابن مسعود رضي الله عنهم.

* وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾. قال: هو قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢]. فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه.

* وقال ابن زيد وقتادة: ومعناه ولذكر الله أكبر من كل شيء.

=

ويروى عنه ﷺ أن الذاكرين يذكرون الله عند دخولهم الجنة ضاحكين مستبشرين في غاية من الراحة والطمأنينة والرضا والأنس، بسبب هذا العمل العظيم، فالصلاة من ذكر الله، والصوم من ذكر الله، والصدقة من ذكر الله، والحج من ذكر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهكذا جميع الأعمال الصالحة كلها من ذكر الله العملي، أما ذكر الله القولي التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، ومن ذكر الله العملي خوف الله بالقلب ومراقبته، وخشيته والشوق إليه والأُنس بذكره ومناجاته كل هذا من الذكر، وفق الله الجميع.

* **وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾.**
ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ...**» الحديث[1].

* **وكان شيخ الإسلام أبو العباس -قدس الله روحه- يقول: الصحيح: أن معنى الآية** أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر: فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، وَلَـمَا فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

* **وذكر ابن أبي الدنيا، عن ابن عباس أنه سئل: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر.**

* **وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله تعالى»[2]. رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[3].**

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٨٨٨)، والترمذي (٩٠٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٥٦).

(٣) **قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

هذا أيضًا من فوائد الذكر، الذكر جامع للخير كله، ولهذا شرع الله جميع الأعمال الصالحة لإقامة ذكره، والصلاة من إقامة ذكره، والصوم من إقامة ذكره، والزكاة من إقامة ذكره، والحج من إقامة ذكره، والجهاد من إقامة ذكره وهكذا، في أي عمل صالح، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]؛ لأنها من ذكر الله وتعظيمه وتقديسه وهو أكبر، فهو سبحانه مستحق أن يذكر ويدعى ويعظم، أينما كان الإنسان وفي كل وقت، ولهذا يقول -جلَّ وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].

ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن قال سبحانه: في الصفة العاشرة: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٣٥]، كلها من صفات المؤمنين.

=

**السادسة والخمسون**: أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله ﷻ، فأفضل الصوام أكثرهم ذكرًا لله ﷻ في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله ﷻ، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكرًا لله ﷻ؛ وهكذا سائر الأعمال.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثًا مرسلاً في ذلك: أن النبيﷺ سئل: أي أهل المسجد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله ﷻ**». قيل: فأي الجنازة خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله ﷻ**». قيل: فأي المجاهدين خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله ﷻ**». قيل: فأي الحجاج خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله ﷻ**». قيل: وأي العوَّاد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله ﷻ**» [(١)]. قال أبو بكر: ذهب الذاكرون بالخير كله.

* **وقال عبيد بن عمير**: إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه، وبخلتم على المال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه؛ فأكثروا من ذكر الله ﷻ.

---

=

فالمؤمن لا تجده أبدًا إلا ذاكرًا لله بقلبه ولسانه وعمله، لأن الله سبحانه المنعم المحسن عليك وعلى آبائك، وأنت تتقلب في إحسانه ليلاً ونهارًا، وهو سبحانه مستحق أن يذكر ويعظم، والذكر من شكره، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

وفي الحديث يقولﷺ: «**إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**»، فالله شرع الحج وما سواه من العبادات لإقامة ذكره ﷻ ليذكر ويعظم، ويثنى عليه ويقدس ﷻ.

وفي الحديث الصحيح عن أبي الدرداء يقول -عليه الصلاة والسلام-: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذكر الله تعالى**».

ذكر الله بأداء فرائضه، وترك محارمه، وإشغال القلب واللسان والجوارح بما أوجب وما شرع، هو المراد والمقصود من هذه الحياة، وفق الله الجميع.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٥٨).

## فوائد إدامة الذكر

السابعة والخمسون: أن إدامة الذكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية، أو مالية، أو بدنية مالية كحج التطوع، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون. فقال: «**ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟**». قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ...**»[١] الحديث. متفق عليه.

فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به، فازدادوا -إلى صدقاتهم وعباداتهم بمالهم- التعبد بهذا الذكر، فحازوا الفضيلتين، فنافسهم الفقراء وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**».

* **وفي حديث عبد الله بن بسر**: قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، كثرت علي خلال الإسلام وشرائعه، فأخبرني بأمر جامع يكفيني. قال: «**عليك بذكر الله تعالى**» قال: ويكفيني يا رسول الله؟ قال: «**نعم، ويفضل عنك**»[٢].

فدله الناصح ﷺ على شيء يبعثه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فلذلك دله ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام، وتسهل به عليه وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٥١) برقم (١٣٥٦).

ذكر الله ﷻ[1]، يوضحه:

(١) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآثار كلها تدل على أن أفضل الأعمال ما كثر به ذكر الله، كلما كان العمل فيه ذكر الله أكثر صار ثوابه أعظم وأجزل، فأفضل العاملين هم أكثرهم ذكرًا لله ﷻ في صلاتهم وفي صيامهم وفي زكواتهم وصدقاتهم وفي حجهم وفي جهادهم وفي غير ذلك، فأفضل العاملين الصالحين المتقين أفضلهم من كان أكثر ذكرًا لله ﷻ مع عمله القلبي والبدني، فالمؤمن يعمل بقلبه ولسانه وجوارحه، فالجوارح مشغولة بالعمل واللسان مشغول بالعمل والقلب مشغول بالعمل وكله ذكر لله ﷻ .

فخوف الله ومراقبته والشوق إليه وحسن الظن به هذا ذكر من ذكر القلب، والإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير من أذكار اللسان، والصلاة والصوم والصدقات والجهاد من أعمال الجوارح، فكلما كان العبد يجمع بين أنواع الذكر فيصلي وهذا نوع من الذكر ويصوم ويتصدق ويحج لن يغفل وكان عمله أكثر ثوابًا، فأفضل المجاهدين أكثرهم ذكرًا لله، وأفضل المصلين أكثرهم ذكرًا لله وتعظيمًا له، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله، وهكذا، جميع الأعمال بهذا النسق.

ولما صعب الأمر على الفقراء لما شهدوا الأغنياء يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويجاهدون من أموالهم قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموال يتصدقون وما عندنا شيءٌ نتصدق به، ويعتقون، قال: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تدركون به من سبقكم وتسبقون من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع ما صنعتم» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرة». وفي الحديث الآخر تمام المائة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، أخبرهم بأنهم يسبقون من تأخر ويفضلون على غيرهم ويشاركونهم بالأموال في ذلك بدل ما عجزوا عن الأموال يشاركون في الصدقات وأعمال الخير والعتق بهذا الذكر، لأنهم عجزوا عن المال فأفاضوا عن ذلك بأذكار الله بالقلب واللسان والعمل، فأدركوا من سبقهم وسبقوا من تخلف عنهم، قال الفقراء: فسمع إخوانهم من أصحاب الأموال بالذكر الذي قاله النبي ﷺ فهم يسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة، فجاء الفقراء يقولون: يا رسول الله، الأغنياء يفعلون مثلنا، فقال النبي ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

إذا أعطى الله العبد كمال العبادة المالية والقلبية واللسانية فذلك فضل الله يأتيه من يشاء، فيكون في الطبقة العليا -جمع بين هذا وهذا-.

وجاءه رجل فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بباب جامع أتمسك به، =

الثامنة والخمسون: أن ذكر الله ﷻ من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد، ويسهلها عليه، ويلذذها له، ويجعل قرة عينه فيها ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك، يوضحه:

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله ﷻ يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله ﷻ على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم، والهم، يوضحه:

الستون: أن ذكر الله ﷻ يذهب عن القلب مخاوفه كلَّها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله ﷻ ؛ فإنه بحسب ذكره يجد الأمن، ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يحذرها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا، والله المستعان[1].

---

=

فقال ﷺ: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»؛ لأنه يعرف أن ذكر الله هو الجامع، فيسبق به الناس ويسارعهم في الخير والأعمال الصالحات، ومع ذلك يجتهد في الذكر بالقلب واللسان والعمل سابق وله فضل عظيم والدرجات العالية إن أخلص لله وصدق وبلغ كل هذه الخيرات.

وهذا كله يدلنا من الرسول ﷺ أنه ينبغي للمؤمن أن يكون كثير الذكر بخلاف حال الغفلة، في بيته وفي طريقه وفي دكانه وفي سيارته وفي أي مكان وفي صلاته وفي صومه ليس بغافل، يصلي وقلبه مع الله ذاكرًا لله، يحج وقلبه ذاكرًا لله، يتصدق كذلك، ففي جميع أحواله قلبه متعلق بالله، يذكر فضله ويذكر إحسانه ويخافه ويرجوه ويسبحه ويكبره ويحمده ويحسن به الظن، يصلي له ويصوم له ويتصدق له، كل أعماله لله وحده ليس فيها شرك ولا رياء ولا سمعة ولا مقاصد أخرى، هذا هو أفضل الأعمال، وصاحبه قد وفق ودل على أفضل الأعمال، وهو الذي يشتغل بذكر الله مع أعماله التي شرعها الله له، ويؤدي الواجبات، ويبتعد عن المحارم، وقلبه مشغول بالله وذكره ﷻ، وفقنا الله جميعًا.

(١) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه فوائد أيضًا من فوائد الذكر، والذكر كله خير: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، يعين على العبادة ويسهلها على المؤمن، ويحببها إليه، ويشجعه عليها، ويذكره بربه، ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، فالإتيان بذكر الله في أثناء العبادة وفي

=

الحادية والستون: أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا.

وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًا -رضي الله تعالى عنهما- أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبرا أربعًا وثلاثين لما سألته الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك وقال: «إنه خير لكما من خادم»[1]. فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في بدنه مغنية عن خادم.

=

أوقاته كلها يعينه على طاعة الله، ويذكره بحق الله، ويسهل عليه جميع التكاليف التي أمره الله بها، ويجعله في غاية من الراحة والطمأنينة والسرور والغبطة والأمن، بخلاف الغافل فإنه في وحشة من نفسه ومن سائر أحواله.

فعليك يا عبد الله أن تجتهد في أن يكون لسانك رطبًا بذكر الله، وقلبك أيضًا مشغولاً بذكر الله وهكذا أعمالك، وذكر الله يكون بالقلب كالخوف والمحبة والرجاء والشوق إليه وتذكر إنعامه وإحسانه، والذكر باللسان يكون بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء وقول لا حول ولا قوة إلا بالله، إلى غير هذا مما يتكلم به اللسان من الذكر، ويكون بالأعمال بالجوارح من الصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير هذا من أعمال الخير.

فجميع أعمال الخير كلها قوة لك وقوة لقلبك وتسهيل لك على طاعة الله ورسوله، وإزالة لمخاوف نفسك؛ لأن من ذكر الله واطمأن إلى الله زالت المخاوف وصار محلها الأمن والراحة والطمأنينة؛ لأنه يعلم أن الله -جلَّ وعلا- يذكر من ذكره، ويحب من ذكره ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، ويقول -جلَّ وعلا- لما ذكرت صفات المؤمنين ختمهم بقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقال ﷺ: «سبق المفردون». قالوا: يا رسول الله ما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»، سبقوا إلى كل خير؛ لأن ذكرهم لله وشغلهم به -جلَّ وعلا- يعينهم على أداء حقه، وعلى الكف عن معصيته، ويذكرهم بحقوقه والتفكير في ذلك، فتكون أوقاتهم معمورة بطاعته معمورة بذكره معمورة بالحذر مما يغضبه سبحانه.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

* وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يذكر أثرًا في هذا الباب وهو: أن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا: يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فلما قالوها حملوه.

* حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مشيختنا أنه بلغهم: أن أول ما خلق الله ﷻ -حين كان عرشه على الماء- حملة العرش، قالوا: ربنا لِـمَ خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي. قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ قال: لذلك خلقتكم. فأعادوا عليه ذلك مرارًا فقال لهم قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فحملوه.

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك ومن يُخاف، وركوب الأهوال.

ولها أيضًا تأثير عجيب في دفع الفقر، كما روى ابن أبي الدنيا، عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن أسد بن وداعة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لـم يصبه فقر أبدًا»**[1]. وكان حبيب بن سلمة يستحب -إذا لقي عدوًّا أو ناهض حصنًا- قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. وإنه ناهض يومًا حصنًا فانهزم الروم، فقالها المسلمون وكبروا فانصدع الحصن[2].

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا، كما في الترغيب والترهيب (٢٤٥٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩٨٠).

(٢) قال العلامة ابن باز رحمه الله:

هذه الآثار كلها تدل على أن الذكر له شأن عظيم في قوة العبد على طاعة الله، وفي قوته في أعماله البيتية وغيرها، وفي جهاده أعداء الله، فالذكر له شأن عظيم في تقوية القلوب ونشاطها وفي نشاط العبد في الخيرات والأعمال الصالحات، فينبغي للعبد الإكثار من ذكر الله والتسبيح والتهليل والتحميد وقراءة القرآن والاستغفار والدعاء، كل هذا له من الآثار العظيمة في قوة العبد وصلابته ونشاطه في الحق ما لا يخفى على من تأمل ذلك، ولما اشتكت فاطمة رضي الله عنها للنبي ﷺ تعب الرحى وتعب البيت فطلبت منه خادمًا، وكان ليس عنده خادم في ذلك الوقت، فقال لها ولزوجها علي رضي الله عنهما: «تسبحون وتحمدون وتكبرون =

**الثانية والستون**: أن عمال الآخرة في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القتر والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق.

* **قال الوليد بن مسلم**: حدثنا محمد بن عجلان: سمعت عمر مولى غفرة يقول: إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثوابًا من الذكر، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون: ما كان شيء أيسر علينا من الذكر.

* **وقال أبو هريرة**: قال رسول الله ﷺ: «**سيروا، سبق المفردون**». قالوا: وما المفردون؟ قال: «**الذين أُهتروا في ذكر الله تعالى يضع الذكر عنهم أوزارهم**»[(١)].

أهتروا بالشيء وفيه: أولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم.

وفي بعض ألفاظ الحديث: «**المُستَهْتَرون بذكر الله**». ومعناه: الذين أولعوا به، يقال: استُهتر فلان بكذا إذا أولع به.

---

عند النوم ثلاثًا وثلاثين مرة». وقال: «هذا خير لكما من خادم» سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرة، ويختم بالمائة الله أكبر، فيكون التكبير أربعًا وثلاثين والتسبيح ثلاثًا وثلاثين والحمد ثلاثًا وثلاثين مرة؛ أي: مائة عند النوم، سنة مستحبة قال: «ذلك خير لكما من خادم» فأخذته فاطمة رضي الله عنها متبعة ذلك ثم ما وجدت تعبًا بعدها، بعدما اتبعت ذلك الذكر قالت: ما أحسست بتعب ولا وجدت تعبًا في حاجات البيت.

وهكذا كلمة: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» كلمة عظيمة، كنز من كنوز الجنة، كما في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة**». قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» فينبغي الإكثار منها عند الشدائد وفي كل وقت، «لا حول ولا قوة إلا بالله» وهي مما يستعان بها في جهاد الأعداء، وفي إزالة الحصون، وفي دفع الشر، وفي جلب الخير، «لا حول ولا قوة إلا بالله» أما الحول: فلا تحول من حال إلى حال ولا قوة على ذلك إلا بالله تبارك وتعالى فالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وقول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» كل هذه من أسباب التفريج والتيسير وقضاء الحاجات، ومن أسباب رضا الله عز وجل، وفق الله الجميع.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٢٤٠).

وفيه تفسير آخر: أن أهتروا في ذكر الله؛ أي: كبروا، وهلك أقرانهم وهم في ذكر الله تعالى.

يقال: أهتر الرجل فهو مهتر إذا سقط في كلامه من الكبر، والهتر: السقط من الكلام، كأنه بقي في ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر عقله، والهتر: الباطل أيضًا، ورجل مستهتَر: إذا كان كثير الأباطيل. وفي حديث ابن عمر: «أعوذ بالله أن أكون من المستهتَرين».

وحقيقة لفظ الاستهتار: الإكثار من الشيء والولوع به حقًّا كان أو باطلاً، وغلب في عرف الناس استعماله على المبطل حتى إذا قيل: فلان مستهتر، لا يفهم منه إلا الباطل، وإنما إذا قيد بشيء تقيد به نحو هو مستهتر، أو قد أهتر في ذكر الله تعالى أي: أولع به، وأغري به. ويقال: استهتر فيه وبه. وتفسير هذا في الأثر الآخر: «أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال: مجنون»[1].

الثالثة والستون: أن الذكر سبب لتصديق الرب ﷻ عبده، فإنه خبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربه، ومن صدَّقه الله تعالى لـم يحشر مع الكاذبين، ورجي له أن يحشر مع الصادقين.

* روى أبو إسحاق، عن الأغر أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: **«إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر. قال: يقول الله -تبارك وتعالى-: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وأنا أكبر. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده. قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا ولا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد. قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد. وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي»**. قال أبو إسحاق: ثم قال الأغر شيئًا لم أفهمه، قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال: «من رزقهن عند موته لـم تمسه النار»[2][3].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٣٧٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٣).

(٣) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

- هذه الآثار والأحاديث كلها تدل على فضل الذكر، وأن أهله هم السابقون إلى كل خير، وهم أولياء الله، =

**الرابعة والستون:** أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء فإذا أخذ في الذكر أخذوا في البناء.

* وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الأخنسي، قال: «بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء، فيقال لهم، فيقولون: حتى تأتينا نفقة».

* وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم سبع مرات بني له برج في الجنة**»[1].

وكما أن بناءها بالذكر فغراس بساتينها بالذكر كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «**أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وإن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[2]. فالذكر غراسها وبناؤها.

* وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثروا من**

---

=

وهم أفضل الناس درجة في يوم القيامة بكثرة ذكرهم لله، كلما كان ذكرهم لله أكثر صار عملهم الصالح أعظم وأكبر؛ فإن الذكر يكون بالقلب واللسان والعمل، ويحمل على تصحيح الأوضاع، والاستقامة على الحق، هكذا يكون الذاكر الصادق، يؤدي الواجبات، ويبتعد عن المحرمات، ويستكثر من أنواع الذكر بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله» مع الإكثار من جميع العبادات التي فيها ذكر الله، ومن هذا الباب يقول ﷺ: «**سبق المفردون**» في بعض أسفاره، قال: «**سبق المفردون**» قالوا: ما المفردون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»؛ لأنهم سبقوا إلى كل خير، والإكثار من ذكر الله يحرك القلوب إلى طاعة الله، ويجدد لها طاعة الله، ويبعدها عن أسباب غضب الله، كما تقدم في الحديث، يقول ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكُم، وأزكَاهَا عِندَ مَليككُم وأرفعِهَا في درجاتِكُم وخيرٌ لكم من أن تَلقَوا عَدُوَّكُم فتضربُوا أعناقَهُم وَيضربوا أعناقكُم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكرُ الله**».

المقصود: أن ذكر الله يتضمن أداء فرائضه وترك محارمه، والوقوف عند حدوده، وتعظيم أمره ونهيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير هذا من وجوه الخير، فالذكر يحمل على كل خير، ذكر الله بالقلب واللسان والجوارح يحمل العبد على كل خير، نسأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعلنا من الذاكرين.

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٥٢٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص٥٣).

غراس الجنة». قالوا: يا رسول الله، وما غراسها؟ قال: «ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

الخامسة والستون: أن الذكر سدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سدًّا في تلك الطريق، فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملاً كان سدًّا محكمًا لا منفذ فيه، وإلا فبحسبه.

* قال عبد العزيز بن أبي رواد: «كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدًا، فجعل في قبلته سبعة أحجار، وكان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله. قال: فمرض الرجل فعرج بروحه. قال: فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى النار. قال: فرأيت حجرًا من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابًا من أبواب جهنم، قال: ثم أُتي بي إلى الباب الآخر فإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابًا من أبواب جهنم، حتى سدت عني بقية الأحجار أبواب جهنم»(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الذكر، كما في الترغيب والترهيب (٢٤٤٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٨٤): حسن لغيره.

(٢) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآثار كلها تتعلق بفضل الذكر، والذكر فضله عظيم، وفوائده كبيرة، فينبغي للعبد الإكثار من ذكر الله، وقد ورد أنه غراس الجنة، فينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله -جلَّ وعلا-، في صباحه ومسائه وفي سائر أوقاته، لأن الله -جلَّ وعلا- أمر بذلك فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «سبق المفردون» قالوا: ما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات».

ولما جاءه رجل فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأخبرني بباب جامع أتمسك به قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله».

فينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله دائمًا، وأن يكون ديدنه على الذكر، مع قيامه بحق الله من الطاعات الواجبة، وترك ما حرم الله ﷻ، وأما هذا الأثر بإشهاد الأحجار السبعة لا دليل عليه، ولا وجه له من الشرع، وأبواب جهنم تسد بالتوحيد والإيمان ليس بالأحجار هذه، أبواب جهنم مفتوحة لأهلها يدخلها أهلها من أبوابها السبعة.

=

**السادسة والستون:** أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روى حسين المعلم، عن عبد الله بن بريدة ، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أجد في كتاب الله المنزل أن العبد إذا قال: «الحمد لله». قالت الملائكة: «رب العالمين». وإذا قال: «الحمد لله رب العالمين». قالت الملائكة: «اللهم اغفر لعبدك». وإذا قال: «سبحان الله». قالت الملائكة: «وبحمده». وإذا قال: «سبحان الله وبحمده». قالت الملائكة: «اللهم اغفر لعبدك». وإذا قال: «لا إله إلا الله». قالت الملائكة: «والله أكبر»، وإذا قال: «لا إله إلا الله والله أكبر». قالت الملائكة: «اللهم اغفر لعبدك».

**السابعة والستون:** أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله ﷻ عليها.

قال ابن مسعود ﷺ: «إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أَمَرَّ بك اليوم أحد يذكر الله ﷻ ؟ فإذا قال: نعم، استبشر».

**وقال عون بن عبد الله:** إن البقاع لينادي بعضها بعضًا: يا جارتاه أمر بك اليوم أحد يذكر الله؟ فقائلة: نعم. وقائلة: لا.

**وقال الأعمش عن مجاهد:** إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله ﷻ ؟ فمن قائل: لا. ومن قائل: نعم.

---

=

هذا الأثر ما كان ينبغي للمؤلف أن يذكره، وهو هنا ليس له قيمة، فينبغي عدم الالتفات إلى مثل هذه الأشياء التي يفعلها بعض العباد، فالرسول ﷺ وأصحابه لم يفعلوا هذا، ولكن أكثروا من ذكر الله وجدوا في ذلك، وجاء في الحديث: «اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك» ليس فيها هذه الأحجار، وهذه الأشياء تشهد لأهلها، يقول ﷺ: **«ما سمع صوت مؤذن شجر ولا حجر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»** فهذه الأذكار التي يقولها الإنسان ويأتي بها المؤذن ويأتي بها غيره تشهد له ما سمع، فالمؤمن يذكر الله ويكثر من ذكر الله بغير حاجة إلى أن تشهد أشياء، بل المشروع أن يكثر من ذكر الله دائمًا من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والاستغفار والدعاء في ليله ونهاره، في بيته وفي الطريق وفي السفر وفي الإقامة، مع الحرص على أداء ما فرض الله من صلاة وغيرها، وترك ما حرم الله عليه، هذا هو طريق السعادة، طريق السعادة تقوى الله، وأداء فرائض الله وترك محارم الله، والإكثار من ذكر الله من التقوى، والغفلة من ضد التقوى، وفق الله الجميع.

الثامنة والستون: أن كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال كعب: من أكثر ذكر الله ﷻ برئ من النفاق؛ ولهذا -والله أعلم- ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]. فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله ﷻ فوقعوا في النفاق.

وسئل بعض الصحابة رضي الله عنه عن الخوارج: أمنافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً. فهذا من علامة النفاق قلة ذكر الله ﷻ، وكثرة ذكره أمان من النفاق، والله ﷻ أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله ﷻ [(١)].

---

(١) قال العلامة ابن باز رحمه الله:

هذه فوائد من فوائد الذكر كلها تدعو المؤمن إلى أن يشتغل بذكر الله، وأن يكون لسانه رطبًا بذكر الله، كما أمره الله ورغبه ﷻ؛ يقول -جلَّ وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾، إلى أن قال سبحانه في خاتمة صفاتهم العظيمة: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:٩].

وفي هذه الآثار أن الملائكة تستبشر بالذاكرين، وتدعو الله لهم بالمغفرة، والبقاع يستبشر بعضها إذا مر عليها من يذكر الله -جلَّ وعلا-.

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من ذكر الله ﷻ، وفي ذلك أيضًا مخالفة لأهل النفاق وبُعدٌ عن صفاتهم، فإن أهل النفاق أهل غفلة وقلة ذكر، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٣].

فمن صفاتهم الذميمة: قلة ذكرهم لله وكثرة غفلتهم، فالمؤمن يخالفهم فيكون كثير الذكر لله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك =

**التاسعة والستون:** أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفى به؛ ولهذا سميت مجالس الذكر: رياض الجنة.

**قال مالك بن دينار:** ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ﷻ، فليس شيء من الأعمال أخف مئونة منه، ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب.

**السبعون:** أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورًا في الآخرة، فالذاكرون أنضر الناس وجوهًا في الدنيا وأنورهم في الآخرة.

ومن المراسيل عن النبيﷺ قال: **«من قال كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، أتى الله تعالى يوم القيامة ووجهه أشد بياضًا من القمر ليلة البدر»**[1].

**الحادية والسبعون:** أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثير الشهود للعبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٥].

---

له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، يقرأ القرآن ويكثر من الاستغفار، يكون لسانه رطبًا من ذكر الله، هكذا المؤمن. وسبق الحديث عن رسول اللهﷺ: «سبق المفردون» قالوا: يا رسول الله ما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات» سبقوا؛ أي: سبقوا إلى كل خير، سبقوا إلى أسباب النجاة والسعادة، بكثرة ذكرهم لله بالقول واللسان والعمل.

فالمؤمن ذاكر لله بقلبه، ذاكر لله بلسانه، ذاكر لله بجوارحه، ليس بغافل، فالمشروع لك أيها المؤمن أن تكون متأسيًا بإخوانك المؤمنين السابقين إلى الخيرات والمسارعين إلى أنواع الفضائل تأسَّ بهم في طريقك، في مسجدك، في بيتك، وعلى فراشك في كل مكان، وفق الله الجميع.

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج الطبراني -كما في كنز العمال (٣٨٨٠)- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: **«من قال كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كتب أفضل أهل ذلك اليوم عملاً، إلا من قال مثلما قال أو أكثر»**.

* فروى الترمذي في جامعه من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾. قال: «أتدرون ما أخبارها؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها: أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا»[1].

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والذاكر لله ﷻ في سائر البقاع يكثر شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوا يوم قيام الأشهاد وأداء الشهادات فيفرح ويغتبط بشهادتهم[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٢٩، ٣٣٥٣)، وأحمد (٨٦٥٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٥٠).

(٢) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الفوائد للذكر تقدم كثير منها، تقدم أن ذكر الله -جل وعلا- من أهم العبادات وأفضل العبادات، ويكون باللسان، ويكون بالقلب، ويكون بالجوارح، وله من الآثار العظيمة والمصالح الكبيرة ما لا يحصى، تقدم أن من ذكر الله ذكره الله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، فذكر الله -جل وعلا- من أسباب ذكر الله للعبد، ومن أسباب توفيق الله للعبد، وللذكر لذة للقلوب لا يسبقها شيء، تسبيح الله وتحميده وذكره واستغفاره ودعاءه واستحضار عظمته والتلذذ بمناجاته وهكذا بقية العبادات البدنية من صلاة وغيرها، كلها لها آثار عظيمة في القلب إذا أخلص العبد فيها لله، وصدرت عن قلب وعن إخلاص، فلها من الآثار العظيمة في اللذة والسرور والبهجة والحضرة ما لا يسبقه شيء، ثم العبد في الإكثار من ذكر الله تشهد له البقاع التي مشى عليها أو قعد عليها كما في قوله -جل وعلا-: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾.

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من ذكر الله، من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، كذلك الإكثار من قول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» مائة مرة لها فضل عظيم، تقدم فضله في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومَه ذلك حَتَّى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجلٌ عمل أكثر منه».

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «أحب الكلام إلى الله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» هذه الكلمات الأربع أحب الكلام إلى الله -جل وعلا-، سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أما الباقيات الصالحات مع قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ويقول ﷺ: «الباقيات
=

**الثانية والسبعون:** أن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت ألبتة، فإما لسان ذاكر وإما لسان لاغ، ولابد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل، وهو القلب وإن لم تسكنه محبة الله ﷻ سكنه محبة المخلوقين ولابد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وهو عليك ولابد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين.

**الثالثة والسبعون:** وهي التي بدأنا بذكرها وأشرنا إليها إشارة فنذكرها هاهنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها، وحاجة كل أحد بل ضرورته إليها، وهي أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظًا وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله ﷻ .

* وقد جاء في هذا الحديث العظيم الشريف القدر الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه، فنذكره بطوله لعموم فائدته وحاجة الخلق إليه، وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا ونحن في صفة بالمدينة، فقام علينا وقال: **«إني رأيت البارحة عجبًا: رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه، ورأيت رجلاً قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله ﷻ فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب -وفي رواية: يلهث- عطشًا، كلما دنا من حوض منع وطرد، فجاءه**

=

الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» هذه من الباقيات الصالحات، والأعمال الصالحة كلها من الباقيات الصالحات، هذا الذكر من الباقيات الصالحات، ثم هو يشجع العبد على أعمال الخير، ذكر الله يشجع على الأعمال الأخرى، على الصدقة، على كثرة العبادة العملية من صلاة وصوم وعيادة المريض وحضور مجالس العلم إلى غير ذلك.

فالإكثار من الذكر يشجع على كل خير، ويذكر بالله وبحقه وبالأعمال التي ترضيه، ويكون صاحب الذكر المكثر منه في غاية القوة والنشاط في بقية الأعمال الصالحة، نسأل الله التوفيق والهداية.

صيامه شهر رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين جلوسًا حلقًا حلقًا كلما دنا إلى حلقة طرد، فجاءه غسله من الجنابة، فأخذ بيده وأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي بيده وهج النار وشررها، فجاءته صدقته فصارت سترةً بينه وبين النار وظللت على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المسلمين، إنه كان وَصولاً لرحمه فكلموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم، وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين الله ﷻ حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله ﷻ، ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله ﷻ فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله ﷻ فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار، فجاءته دمعته التي بكى من خشية الله ﷻ فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله ﷻ فَسكَّن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا فجاءته صلاته علي فأقامته على قدميه وأنقذته، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة»[1]. رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية، وبنى كتابه عليه، وجعله شرحًا له، وقال: هذا حديث حسن جدًّا، رواه عن سعيد بن المسيب: عمر بن زر، وعلي بن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة.

(١) أخرجه الطبراني، كما في مجمع الزوائد (٧/ ٣٧١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٨٦).

* وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه.

والمقصود منه قوله ﷺ: «**ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله ﷻ فطرد الشياطين عنه**». فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة وقوله فيه: «**وأمركم بذكر الله ﷻ، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو، فانطلقوا في طلبه سراعًا، وانطلق حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه**». فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله ﷻ.

* وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال** -يعني: إذا خرج من بيته-: **باسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: كفيت، وهديت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان. فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟**»[(١)]. ورواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٥).

(٢) **قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:**

هذا الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث الدالة على فضل ذكر الله كلها توجب على المؤمن العناية بهذا الأمر، وأن يعلم أن كل طاعة لله وكل قربة لله تبعده من النار ومن الشياطين وتقربه من الجنة ومن الرحمن ﷻ.

**ومن أعظم فوائد الذكر**: أنها تشغل لسانك وجوارحك عما يضرك، فإن اللسان كثير الحركة فإن لم تشغله بذكر الله وبالاستغفار وبالدعاء وقع في أمر آخر من الباطل من الغيبة والنميمة والسب وغير هذا من الباطل، فمن فوائد الذكر أنك تشغل هذا اللسان عما لا ينبغي، فتكسب حسنات، وتتقي سيئات، أما إذا غفلت وتركت ولم تتكلم فهذا لا سؤال عليه، لكن في الغالب أن هذا اللسان لا يسكت يتكلم ويتحرك، فاشتغل بذكر الله حتى تمتنع من الكلام الذي يضرك، فمن شغله ذكر الله عن بقية الأشياء الضارة وعن المكروهة وعن الكلام الذي ليس له فائدة أفلح كل الفلاح، ولهذا يقول ﷻ في كتابه العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، ويقول النبي ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: يا رسول الله، ما المفردون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**» رواه مسلم في الصحيح.

=

* وقد تقدم قوله ﷺ: «من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له حرزًا من الشيطان حتى يمسي»[١].

* وذكر سفيان، عن أبي الزبير، عن عبد الله بن ضمرة، عن كعب قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: باسم الله. قال الملك: هديت. وإذا قال: توكلت على الله. قال الملك: كفيت. وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال الملك: حفظت. فيقول الشياطين بعضهم لبعض: ارجعوا، ليس لكم عليه سبيل، كيف لكم بمن كفي وهدي وحفظ؟».

=

ومن فوائد الذكر: أنه يطرد الشياطين، والشياطين محتوشة بابن آدم ومحيطة به ومعه شيطان قرين له، هذا الذكر يطرد عنك الشيطان، ويكفيك شره كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ فدل على أن من لم يغفل يكف هذا الشيطان، ويحال بينه وبينه، ومن غفل هجم عليه عدو الله، فالعناية بذكر الله تطرد عنك الشياطين.

ومنه الحديث الطويل العريض في أن العبد تحتوشه الشياطين وتحرص على إضلاله، ومن أعظم أسباب نجاته إكثاره من ذكر الله، ولهذا رأى النبي ﷺ في النوم هذا الرجل الذي احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطردها عنه، فدل على أن ذكر الله يطرد الشياطين بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، وهكذا الأعمال الصالحات من الصلاة والصوم والصدقات من أسباب العافية، والصدقة لها شأن، والصوم له شأن، وبر الوالدين والأمور الشرعية والغسل من الجنابة وصيام رمضان والإكثار من الصلاة والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من وجوه الخير كلها من أسباب وقاية عذاب الله، ومن أسباب السلامة من شر أعداء الله شياطين الإنس والجن، وبر الوالدين والإحسان إليهما من أعظم أسباب طول العمر في خير وعافية وعمل صالح، ومن أسباب الحفاظ على خير عمل.

فالجدير بالمؤمن والذي ينبغي له أن تكون أوقاته مشغولة بذكر الله بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والاستغفار والدعاء ، وبالأعمال الصالحات من صلاة وصوم وصدقات وأمر بمعروف ونهي عن منكر، دعوة إلى الله وعيادة مريض واتباع جنازة وغيرها من وجوه الخير، يحرص على أسباب الخير وعلى أعمال الخير حتى يصون جوارحه وحتى يصون لسانه عما يضره، وحتى يبعد شياطين الإنس والجن عنه، فكلما زاد من العمل الصالح والذكر ابتعد عنه أعداء الله من شياطين الإنس والجن، وكلما غفل سلط عليه أولئك الأعداء بحسب غفلته وإعراضه وتساهله.

(١) تقدم تخريجه (ص٥٣).

* وقال أبو خلاد البصري: من دخل في الإسلام دخل في حصن، ومن دخل المسجد فقد دخل في حصنين، ومن جلس في حلقة يذكر الله ﷻ فيها فقد دخل في ثلاثة حصون.

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني، عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إذا وضع العبد جنبه على فراشه فقال: باسم الله، وقرأ فاتحة الكتاب أمن من شر الجن والإنس ومن كل شيء**»(١).

* وفي صحيح البخاري عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة ﷺ قال: ولاني رسول الله ﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقال: دعني فإني لا أعود ... فذكر الحديث، وقال: فقال له في الثالثة: أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلى سبيله، فأصبح فأخبر النبي ﷺ بقوله، فقال: «**صدقك وهو كذوب**»(٢).

* وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير. ويقول الشيطان: اختم بشر. فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه -يعني: النوم- طرد الملك الشيطان، وبات يكلؤه، فإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: افتح بخير. ويقول الشيطان: افتح بشر. فإن قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها، ولم يمتها في منامها، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه. طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه**»(٣).

* وفي الصحيحين من حديث سالم بن أبي الجعد، عن كريب، عن ابن عباس قال: قال

(١) أخرجه البزار، كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٧٥).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٦٨٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٣٤٦).

رسول الله ﷺ: «أما لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فيولد بينهما ولد، لا يضره الشيطان أبدًا»[1][2].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٨٥).

(٢) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآثار مما يتعلق بفضل الذكر والتعوذ بالله والعناية بذكر الله وأن ذلك من أسباب السلامة من الشيطان، ذكر الله -جلَّ وعلا- يطرد الله به الشيطان كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾، دل على أن العبد إذا غفل عن ذكر الله هجم عليه عدو الله، ومادام يشتغل بذكر الله فإن الله يحميه منه من مكائد عدوه، والأحاديث الصحيحة بهذا كافية، والمؤلف قد يذكر بعض الأحاديث الضعيفة، وكان الأولى به رَحِمَهُ اللَّهُ أن يقتصر على الأحاديث الصحيحة فيها كفاية، فالسنة إذا أوى إلى فراشه أن يقول «باسم الله»، «باسمك ربي أحيا وأموت» ، «باسمك ربي أموت وأحيا»، كما كان يقول -عليه الصلاة والسلام-: «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» ويسبح الله ثلاثًا وثلاثين، ويحمد الله ثلاثًا وثلاثين، ويكبر الله أربعًا وثلاثين، كما علم النبي ﷺ عليًا وفاطمة عند النوم، ويقرأ آية الكرسي كما في هذا الحديث، وأنه لا يزال معه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، ويستحب له أن يقرأ مع هذه أن يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين ثلاث مرات عند النوم، كل هذه أمور ثابتة تكفي عن الآثار الضعيفة، أما قراءة الحشر لم يثبت فيها شيء عند النوم فهو حديث ضعيف، وعند استيقاظه يذكر الله ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» ، «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله».

هكذا علم النبي ﷺ من تعارَّ من النوم أن يقول هكذا، ومتى قال ذلك إن دعا استجيب له، وإن صلى قبلت صلاته، فالمؤمن يتحرى هذه الأذكار ويقول: «الحمد لله أحياني بعدما أماتني وإليه النشور»، «الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذنَ لي بذكره».

والمقصود: أن الأحاديث الصحيحة كافية في هذا.

وإذا قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة في اليوم؛ كانت له عدل عشر رقاب يعتقها، وكتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومَه ذلك حَتَّى يمسي ولـم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء إلا رجلٌ عمل أكثر منه» هذا فضل عظيم.

وفي قصة أبي هريرة مع الشيطان دلالة على أن الشياطين قد يظهرون ويتمثلون بالإنس، فالشيطان جاء أبا هريرة، وأبو هريرة موكل على الصدقة -زكاة الفطر- كانت تأتي النبي ﷺ ثم يوزعها على الفقراء، فوكل =

* وذكر الحافظ أبو موسى: عن الحسن بن علي قال: أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين الآية

=

أبا هريرة عند جمعها، فجاء الشيطان يحثو منها -أي: من الطعام- فأمسكه أبو هريرة وكأنه جاء في صورة إنسان؛ لأن أبا هريرة أمسكه على أنه إنسان يسرق من الطعام فقال: دعني أنا ذو عيال ذو حاجة دعني، فرحمه أبو هريرة وأطلقه، فلما أصبح وأتى النبي أخبر النبي قال: «ما فعل أسيرك يا أبا هريرة؟» قال: زعم أن له عيالاً وأنه ذو حاجة فرحمته وأطلقته، قال: «كذبك وسيعود»، فلما جاء الثانية عرف أنه سيعود فجعل يرصده فجاء ليأخذ من الطعام فأمسكه فقال: دعني أنا ذو عيال وأنا فقير وأنا كذا لا أعود، فرحمه أبو هريرة وأطلقه، فلما أصبح كلم النبيﷺ قال النبي: «ما فعل أسيرك؟» قال: فعل كذا، قال: «كذبك وسيعود»، فعاد الثالثة فأمسكه، فقال: دعني أعلمك كلمات إذا قلتها يحفظك الله، تقرأ آية الكرسي عند النوم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ إلى آخرها إلى قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾. فإنك إذا قلتها لا يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما قال هكذا أطلقه، فلما أصبح أخبر النبيﷺ قال له النبي: «صدقك وهو كذوب»؛ أي: صدقك في هذا الكلام الصحيح، وهذا الكلام صحيح ولكن من طبيعة الشيطان الكذب ولكن لمصلحته أتى بهذا الحق، هذه تفيد أن الشيطان قد ينطق بالحق لمصلحة يريدها، وهو كذاب داع للباطل، كما فعل هذا الشيطان مع أبي هريرة أخبره بآية الكرسي، وأنه إذا قرأها عند النوم لا يزال معه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فقال له النبيﷺ: «صدقك وهو كذوب».

في هذا من الفوائد: أن الإنسان يحرص على الفائدة، وأبو هريرة حرص على الفائدة، وفعل ما فعل من أجل الفائدة، وفيه أن الحق يقبل ممن جاء به وإن كان الذي جاء به ليس بصاحب حق، لكن الحق مقبول، وفيه من الفوائد أن الجني قد يتمثل بالإنسي وقد يراه الإنسي، قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ هذا هو الغالب، وقد يتراءى الجني فيتصور في صورة إنسان كما تصور في عهد النبيﷺ لما أتى قريشًا فقال لهم: افعلوا كذا وافعلوا كذا بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، وفي بدر أتى في صورة سراقة وقال: افعلوا كذا وكذا، وقد تتمثل الشياطين للإنس وتبرز وتراه الناس على أنها إنسي وهو شيطان ليضل الناس، إما بدعوته إلى الباطل، وإما بالتثبيط عن الحق، وهذا يقع كثيرًا في كل زمان وفي كل مكان، فالإنسان يحرص على البعد من شر شياطين الإنسان والجن، شياطين الإنس أن يغروه ويؤذوه بمشورتهم وبما يدلون به وبما يتكلمون به، وهكذا شياطين الجن كذلك ولهذا قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

فالمقصود: أن الإنسان يحذر من شياطين الإنس وشياطين الجن، والشيطان متمرد وشيطان كل قوم من الإنس هو المتمرد منهم والخبيث منهم يقال له شيطان، إذا تعدى طوره وصار يؤذي يسمى شيطانًا، فشياطين الإنس مردتهم، وشياطين الجن مردتهم، وشياطين الكلاب خبثاؤها وأسودها وهكذا، والله الموفق.

أن يعصمه الله تعالى من كل سلطان ظالـم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سَبُعٍ ضارٍّ، ومن كل لص عادٍ: آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف:٥٤-٥٧]. وعشرًا من الصافات وثلاث آيات من الرحمن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣- ٣٥]. وخاتمة سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١-٢٤].

* وقال محمد بن أبان: بينما رجل يصلي في المسجد إذا هو بشيء إلى جنبه فهيل منه، فقال: ليس عليك مني بأس إنما جئتك في الله تعالى، ائت عروة فسله: ما الذي يتعوذ به؟ -يعني: من إبليس الأباليس- قال: قلت: آمنت بالله العظيم وحده، وكفرت بالجبت والطاغوت، واعتصمت بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم، حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.

* وقال بشر بن منصور عن وهيب بن الورد قال: خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل، قال فسمعت حسًا -أو أصواتًا شديدة-، وجيء بسرير حتى وضع، وجاء شيء حتى جلس عليه. قال: واجتمعت إليه جنوده، ثم صرخ فقال: من لي بعروة بن الزبير؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله ﷻ من الأصوات، فقال واحد: أنا أكفيكه. قال: فتوجه نحو المدينة وأنا ناظر، ثم أوشك الرجعة فقال: لا سبيل إلى عروة. قال: ويلك لِـم؟ قال: وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا نخلص إليه معهن. قال الرجل: فلما أصبحت قلت لأهلي: جهزوني، فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دللت عليه، فإذا شيخ كبير، فقلت: ما شيء تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ فأبى أن يخبرني، فأخبرته بما رأيت وبما سمعت، فقال: ما أدري غير أني أقول إذا أصبحت: آمنت بالله العظيم، وكفرت بالجبت والطاغوت، واستمسكت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم، إذا أصبحت قلت ثلاث مرات، وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات.

* وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال: قال جبريل للنبي ﷺ: إن عفريتًا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فقل: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر،

**ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ من الأرض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»[(١)].**

*** وقد ثبت في الصحيحين أن الشيطان يهرب من الأذان.**

**قال سهيل بن أبي صالح:** أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام -أو صاحب- لنا، فنادى منادٍ من حائط باسمه، فأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئًا، فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لـم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولى وله حصاص»**. وفي رواية: **«إذا سمع النداء ولى وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين...»** الحديث[(٢)(٣)].

(١) أخرجه أحمد (١٥٠٣٥) من حديث عبد الله بن خَنبش التميمي رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٩).

(٣) قال العلامة ابن باز رحمه الله:

هذه الآثار التي جاءت عن بعض السلف في بعض الدعوات وفي بعض الأذكار وما جاء عن النبي ﷺ في ذلك كلها تدل على أنها تطرد الشيطان، وأن العبد إذا شغل نفسه بذكر الله كان هذا من أسباب إبعاد الله له من الشيطان وعصمة الله له من الشيطان، وما جاء وصح عن النبي ﷺ ودل عليه القرآن كفاية عن غير ذلك، فكلام السلف ليس بحجة في هذه المسائل وإنما الحجة قال الله وقال الرسول، فالمؤمن يتحرى ما قاله الله ورسوله ويتمسك بذلك، ومن ذلك الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن، فإن هذه من أسباب صلاح القلوب ومن أسباب السلامة من أعداء الله من شياطين الإنس والجن ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦]، هكذا يقول الرب -جلَّ وعلا-.

فالمؤمن يحرص على شغل قلبه ولسانه بذكر الله وجوارحه، وهذا هو طريق النجاة، ومن يتبع هدى الله نجا وسلم، ومن تمسك بسنة الرسول ﷺ أفلح، فينبغي للمؤمن أن يكون دائمًا مشغول القلب واللسان والجوارح بذكر الله وطاعة الله والاستقامة على أمر الله، والبعد عن محارم الله، هذا هو طريق النجاة وهو طريق السعادة في الدنيا والآخرة، والذكر هو طريق العافية من شر الشياطين، وهكذا التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق تكفي عما يذكر عن عروة وغير عروة، يقول النبي ﷺ: **«من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضرَّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»**، وأمر من =

* وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي رجاء، عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «استكثروا من قول لا إله إلا الله والاستغفار، فإن الشيطان قال: قد أهلكتهم بالذنوب، وأهلكوني بقول: لا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون»[1].

* وذكر أيضًا عن إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة قال: «بينما رجل مسافر إذ مر برجل نائم ورأى عنده شيطانين، فسمع المسافر أحد الشيطانين يقول لصاحبه: اذهب فأفسد على هذا النائم قلبه. فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال: لقد نام على آية ما لنا إليه سبيل. فذهب إلى النائم، فلما دنا منه رجع قال: صدقت. فذهبا، ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين. فقال: أخبرني على أي آية نمت، قال: على هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

* وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أرى في داري فقيل لي: يا أبا النضر تحول عن جوارنا. قال: فاشتد ذلك علي، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس والمحاربي وأبي أسامة،

=

يخاف من الشياطين أن يتعوذ بكلمات الله ويعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما يلج في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمان.

المقصود: التعوذ بكلمات الله التامات مع الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن في ليلك ونهارك في السفر والإقامة، في المنزل في الطريق في البر في البحر في الطائرة، في أي مكان، فالإنسان يكثر من ذكر الله وقراءة القرآن ويستعمل الأذكار الشرعية هذا هو طريق النجاة في الدنيا والآخرة، وطريق العافية من شر شياطين الإنس والجن.

ومن عبادته آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ بعد كل فريضة وعند النوم، وكذلك قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين، كما صح عن النبي ﷺ يقرؤها ثلاث مرات عند النوم وصباحًا ومساءً وبعد الفجر وبعد المغرب كل هذه من أسباب العافية من كل سوء.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤)، وقال الألباني في ظلال الجنة (٧): موضوع.

فكتب إلى المحاربي: إن بئرًا بالمدينة كان يقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب فشكوا ذلك إليهم، فدعوا بدلو من ماء، ثم تكلموا عليه بهذا الكلام، فصبوه في البئر، فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر.

قال أبو النضر: فأخذت تورًا من ماء، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبعت به زوايا الدار فرششته، فصاحوا بي: يا أبا النضر أحرقتنا، نحن نتحول عنك، وهو: باسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التي لا ترام ولا تضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب وبأسمائه الحسنى كلها عائذًا من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل معلن أو مسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفى، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يُتقى، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١-١٠].

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذلك العبد: «**كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى**»(١).

---

(١) **قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قد سبق أن الله -جلَّ وعلا- وضح على لسان رسوله -عليه الصلاة والسلام- ما ينبغي التحرز به، وما ينبغي اعتياده من التعوذات والأذكار، وهذا ثابت عما ينقل عن بعض السلف: التمسك بما جاء عن الرسول وبما جاء عنه هو الطريق السوي، وعدو الله الشيطان يلتمس لابن آدم كل عثرة وكل شر: ﴿إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]، هو علم بلا شك ولهذا ورد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان قال: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بـ: لا إله إلا الله**
=

ولنذكر فصولاً نافعة تتعلق بالذكر تكميلاً للفائدة:

## الفصل الأول

**الذكر نوعان:**

أحدهما: ذكر أسماء الرب -تبارك وتعالى- وصفاته والثناء عليه بها وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به -تبارك وتعالى- وهذا أيضًا نوعان:

=

والاستغفار، فلما رأيت ذلك منهم بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون، لأنهم يظنون أنهم على هدى»؛ أي: من البدع، فالشيطان يزين للناس البدع لأنهم يظنون أنهم على هدى فلا يتوبون منها ويصرون عليها.

فالواجب على المؤمن الإكثار من ذكر الله والتعوذ بالله من الشيطان والاستغفار هذا هو طريق النجاة، والتعوذات الشرعية تكفي «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»، «أعوذ بكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمان»، كلها صحيحة تكفي عما جاء عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في التعوذات وعند النوم آية الكرسي التي جاء بها النص وإن كانت الآية كلها عظيمة ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف:٥٤]، فكل القرآن عظيم وكله هدى، وكله حرز من الشيطان لمن تمسك به واستقام عليه.

ولكن الشيء الذي خصه النبيﷺ يخص بآية الكرسي عند النوم وقراءة المعوذتين عند النوم ثلاث مرات، سبحان الله والحمد لله ثلاثًا وثلاثين مرة، والتكبير أربعًا وثلاثين مرة عند النوم كلها سنن ومن أسباب الحرز من عدو الله الشيطان ومن كل سوء، وهي أولى بالعناية وبالحرص عليها مما يؤثر عن تابعي أو غير تابعي أو عن العلماء، ما جاء عن الرسولﷺ هو العمدة لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولأن الله يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، عليه الصلاة والسلام.

فالمؤمن يتحرز بالتعوذات الشرعية والأذكار الشرعية والاستغفار والعناية بالطاعة والحذر من المعاصي هذا هو طريق النجاة والسلامة في الدنيا والآخرة. نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية.

**أحدهما:** إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر.

وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث نحو: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ونحو ذلك، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله، وقولك: الحمد لله عدد عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق. أفضل من مجرد قولك الحمد لله.

وهذا في حديث جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**»[1]. رواه مسلم.

* وفي الترمذي وسنن أبي داود، عن سعد بن أبي وقاص: أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بها فقال: «**ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل؟ فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»[2].

**النوع الثاني:** الخبر عن الرب -تبارك وتعالى- بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله ﷻ يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير. وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته الواجد ونحو ذلك.

وأفضل هذا النوع: الثناء عليه بما أثنى به على نفسه وبما أثنى به عليه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠٠)، والترمذي (٣٥٦٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩٥٩).

فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله ﷻ مع محبته والرضا عنه، فلا يكون المحب الساكت حامدًا ولا المثني بلا محبة حامدًا حتى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئًا بعد شيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدًا، وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة فاتحة الكتاب: «فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. قال: أثنى علي عبدي. وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي»[1].

والنوع الثاني من الذكر: ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهو أيضًا نوعان:

**أحدهما:** ذكره بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأحب كذا، وسخط كذا، ورضي كذا.

**والثاني:** ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذكر وأجلُّه وأعظمه فائدة.

فهذا ذكره هو الفقه الأكبر وما دونه من أفضل الذكر إذا صحت فيه النية.

ومن ذكره ﷻ: ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده، وهذا أيضًا من أجل أنواع الذكر.

فهذه خمسة أنواع: وهي تكون بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر، وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده تارة، وهي الدرجة الثالثة.

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان.

وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويردع عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئًا من ذلك الإثمار،

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

وإن أثمر شيئًا منها فثمرته ضعيفة[١].

(١) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذا البحث الحث على ذكر الله بالقلب واللسان وبالعمل وبالثناء على الله في أمره ونهيه مع محبته وتعظيمه وتقديسه، ومع الحذر مما نهى عنه، والاستقامة على ما أمر به هذا أعظم الذكر أن يذكر الله بلسانه مع محبة القلب والشوق إلى الله بخوفه وتعظيمه مع تعظيم أمره ونهيه وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا أعظم الذكر.

فينبغي للمؤمن: أن يكثر من ذلك، أن يكثر من حمده والثناء عليه وتسبيحه وتهليله وتكبيره مع الإيمان بهذه الأسماء والصفات وأن الله -جلَّ وعلا- هو المحمود على كل حال، ويستحق أن يحمد، وكلما كرر العبد صار ذلك أكمل، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول الله: حمدني عبدي وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يقول الله -جلَّ وعلا-: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، يقول الله: مجدني عبدي، فتكرار الثناء وتكرار الحمد من باب الثناء وتكراره أكثر من مرتين يقال له التمجيد: التوسل بالحمد والثناء.

وينبغي للعبد أن يعتني بكلمات جامعة سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما خلق غير ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، والله أكبر مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك، وهكذا يستغفر الله ويكثر من الدعاء، من التسبيح والتهليل والدعاء والاستغفار، هكذا المؤمن تكون أوقاته معمورة بذكر الله قلبًا ولسانًا مع المحبة والتعظيم والتقديس مع المسارعة لفعل أوامره وترك نواهيه، فالقلب مشغول بمحبته والثناء عليه بالقلب، ومشغول باللسان بالثناء عليه بالقول، وهكذا العمل بترك معاصيه والالتزام بطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا هو أعظم الذكر.

أما الذكر باللسان من القلب الغافل هذا ليس بشيء، فينبغي له أن يجتهد في أن تكون جوارحه مجتمعة، فإذا ذكر الله بلسانه يجتهد فيتحرك قلبه لذلك عن محبة وتعظيم فينطق اللسان فيحصل له الأجر، ويكون بقلبه محبًّا معظمًا مقدسًا يعلم أن ربه مستحقًّا للعبادة، ويستحق أن يحمد، ويثني عليه، ومستحق لكل ثناء ولكل تمجيد، فأساسه القلب، ثم ينبعث من القلب للجوارح، من اللسان والأعمال التي يعملها المؤمن طاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كلها تنبثق عن محبة القلب وتعظيمه واعترافه.

ومن أجمع الذكر: قوله ﷺ لجويرية عندما مر عليها وهي في مصلاها بعد الفجر إلى الضحى، فقال: «ما زلت على حالك منذ فرغت؟». قال: «قد قلت بعض كلمات لو وزنت بما قلت منذ قلت لوزنتهن قلتها ثلاث مرات: أربع كلمات: سبحان الله العظيم وبحمده، عدد خلقه، وسبحان الله رضا نفسه وسبحان الله زنة
=

## الفصل الثاني

الذكر أفضل من الدعاء؛ لأن الذكر ثناء على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»(١). ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته، كما في حديث فضالة بن عبيد: أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لقد عجل هذا». ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه ﷻ والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء»(٢). رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم في صحيحه وهكذا دعاء ذي النون ﷺ الذي قال فيه النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ

---

=

عرشه وسبحان الله مداد كلماته». يكررها ثلاثًا من أعظم الذكر، كذلك سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد مثل ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، والله أكبر مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك، وهكذا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، من قالها عشر مرات كانت له كمن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل، وإذا قالها مائة مرة كتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، وكانت له عدل عشر رقاب يعتقها، وكان في حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من عمله؛ فاجتهد يا عبد الله أن تكون في هذا الخير العظيم، فاجتهد في العمل بهذه الأذكار الخيرية تحصل لك الخيرات العظيمة والحسنات المضاعفة والفضل العظيم، وعمارة القلوب بطاعة الله وشوقها إليه، فإن هذه الأذكار تربي في القلب المحبة والخوف والإنابة والحذر.

(١) تقدم تخريجه (ص٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، وأحمد (٢٣٤١٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾»[(١)].

* وفي الترمذي: «دعوة أخي ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]. فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[(٢)]. وهكذا عامة الأدعية النبوية -على قائلها أفضل الصلاة والسلام- ومنه قولهﷺ في دعاء الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[(٣)].

* ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن وابن حبان في صحيحه: أن رسول اللهﷺ سمع رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لـم يلد ولـم يولد ولـم يكن له كفوًا أحد. فقال: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[(٤)].

* وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس: أنه كان مع النبيﷺ جالسًا ورجل يصلي ثم دعا: اللهم إني أسالك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبيﷺ: «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[(٥)]. فأخبر النبيﷺ: إن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم. فكان ذكر الله ﷻ والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٣٨)، و البيهقي في شعب الإيمان (٦٢٠) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠) من حديث ابن عباس ﵄.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٤٠).

(٥) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (١٣٠٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٤١): حسن صحيح.

* **وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء: أنه يجعل الدعاء مستجابًا**، فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضي منه، وأوصاف المسئول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضي من السائل والمقتضي من المسئول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في الشاهد -ولله المثل الأعلى- أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته كان أعطف لقلب المسئول وأقرب لقضاء حاجته، فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس؛ لا ينكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه ونحو ذلك، كان ذلك أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء: أعطني كذا وكذا.

فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]. وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]. وقول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

* وفي الصحيحين: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي به، فقال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**»[(١)]. فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) **قال العلامة ابن باز رحمه الله:**

فهذه الأحاديث في هذا الباب والآيات، كلها تدل على فضل الذكر وأن الذكر فضله عظيم وفيه الثناء على الله بأسمائه وصفاته وتوحيده -جلَّ وعلا- وأنه أفضل من الدعاء، فالدعاء: طلب الحاجات وفي =

## الفصل الثالث

قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء؛ هذا من حيث النظر إلى كل منهما مجردًا.

---

=

فضله الانكسار لله -جلَّ وعلا-، ولكن الذكر فيه بيان أسماء الله وصفاته والثناء عليه بما هو أهله فصار بذلك أنك تتوسل إليه بما يحب وبما هو أهله -جلَّ وعلا- في طلب حاجتك، فينبغي للمؤمن أن يكثر من الذكر والدعاء جميعًا فالذكر: ثناء على الله وتمجيد له.

والدعاء: طلب للحاجة مع الانكسار والذل والاعتراف بفقر النفس.

فإن الرب ﷻ يحب من عباده أن يثنوا عليه وأن يحمدوه والدعاء له مع الذكر، وشرع لهم الذكر عقب الصلوات وعند الأكل والشرب إلى غير ذلك مما علمنا ﷻ بأن يثنوا عليه ويحمدوه بما هو أهله ﷻ.

وفي الحديث أن النبي ﷺ روى عن ربه: **«من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»**، وإن كان في سنده مقال لكن يستشهد به في هذا المقام، لأن الأدلة الكثيرة تدل على فضل الذكر، فضل الثناء، وأن الله يحب ذلك ويرشد إليه، فالرب ﷻ يحب من عباده أن يثنوا عليه وأن يشكروه، ويذكروه، ولهذا قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]. فهو سبحانه يحب أن يحمد ويحب أن يسأل بأسمائه، وشرع الفاتحة التي هي أولها ثناء على الله ثم فيها الدعاء، وهكذا الأذكار بعد الصلاة بأن يستغفر ربه ويحمد ربه ويذكره ويثني عليه.

فالدعاء فيه ثناء على الله بما هو أهله وغفران الذنوب وقضاء حاجات المضطرين ورحمته وإحسانه إليهم.

وفي الثناء تمجيد له بما هو أهله من الصفات العظيمة والأسماء الحسنى، فيتوسل العبد إلى ربه بالأمرين بالثناء على الله بأسمائه وصفاته والانكسار له والتذلل وإظهار الحاجة فيجمع بين الأمرين حتى يكون ذلك أقرب إلى الإجابة ولهذا قال -جلَّ وعلا- في دعاء ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وكذلك دعاء الكرب: **«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»**، فالثناء على الله وحمده وذكره والصلاة على النبي ﷺ في مقدمات الدعاء من أسباب الإجابة. وفق الله الجميع.

وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل بل يعيِّنه، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة ، وكذلك التسميع والتحميد في محلهما أفضل من القراءة، وكذلك التشهد، وكذلك: «رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» بين السجدتين أفضل من القراءة .

وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة -ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد- أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة ، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه، وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفاتت المصلحة المطلوبة منه.

وهكذا الأذكار المقيدة بمحالٍّ مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن.

**مثاله:** أن يتفكر في ذنوبه فيحدث ذلك له توبة واستغفارًا، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه، وكذلك أيضًا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لـم يحضر قلبه فيها، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالاً، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء -والحالة هذه- أنفع، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا.

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس ، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطى كل ذي حق حقه، ويوضع كل شيء موضعه: فللعين موضع، وللرجل موضع، وللماء موضع، وللحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي، والله تعالى الموفق، وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت، والتجمير وماء الورد أنفع له في وقت.

* وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يومًا: سئل بعض أهل العلم: أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًّا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسًا فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي -رحمه الله تعالى-: فكيف والثياب لا تزال دنسة؟!

* ومن هذا الباب أن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص، ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده؛ لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

فهذا أصل نافع جدًّا يفتح للعبد به باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها؛ لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح عليه إبليس الفضل الذي بينهما، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك وقته، فتفوته مصلحته بالكلية؛ لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا.

وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها، وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه، وتنزيله في مرتبته، وتفويته لما هو أهم منه، أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل لإمكان تداركه والعود إليه، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى -وهذا كترك القراءة لرد السلام وتشميت العاطس- وإن كان القرآن أفضل؛ لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت، والله تعالى الموفق[1].

---

(١) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا بحث عظيم مفيد بما يتعلق بالتفاضل بين الأعمال وبين الأذكار والدعاء والقرآن.

فالقرآن هو أفضل الذكر ثم يليه بقية الأذكار، كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل وغير ذلك ثم الدعاء، هذه هي المراتب في الفضل.

فالقرآن الأول هو أفضل الذكر ثم بقية الأذكار من توحيد الله وتسبيحه وتكبيره ثم الدعاء اللهم اغفر =

## الفصل الرابع

في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يُخِلَّ بها لشدة الحاجة إليها وعظم الانتفاع في الآجل والعاجل بها، وفيه فصولٌ:

=

لي اللهم ارحمني، إلى آخره.

لكن هذا الأفضل، القرآن، قد يعرض الله أشياء يجعل غيره أولى منه كترتيب الله للعبادات فالقرآن أفضل الذكر لكن لا يفعل في الركوع والسجود، ولا بين السجدتين ولا خلف قراءة التحيات. فالقرآن له وقته وله محله، محله القيام لمن كان قادرًا، والقعود لغير القادر على القيام في الصلاة أما في حال التحيات بين السجدتين لا يقرؤه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا» فالقرآن له محله والعبادات الأخرى لها محلها.

وهكذا إذا دعتك الحاجة إلى صلاة الاستخارة فكل من يصلي الاستخارة يقرأ دعاء الاستخارة ولا يقرأ القرآن لأنها عبادة مستقلة خاصة لها شأنها ولها وقتها، هكذا إذا دعتك الحاجة إلى أمر آخر فنسأله ونستعيذ بالله منه صار هذا الدعاء والاستعاذة في محلها أولى من القراءة، كل شيء له وقته.

لكن الأفضل قراءته في بعض الأوقات، لكن في بعض الأوقات، وفي بعض الأعمال لا يقرؤه في الركوع لا يقرأ في السجود لا يقرأ بين السجدتين لا يقرأ، في حال التحيات لا يقرأ، إنما يقرأ في حال القيام، هكذا كونه يتعاطى الأذكار الشرعية في الصباح والمساء والدعوات الواردة أولى من أن يشتغل بالقرآن فقط، فمن اشتغل بالأوراد الشرعية والأذكار الواردة، وكلها من هذه الدعوات كان أفضل، لأن في تحقيق ما جاءت به السنة وجاء به من فوائد، هكذا صلاة النوافل، والسنن الراتبة، والتهجد في الليل أفضل من الاكتفاء بقراءة القرآن، فكل شيء في وقته، كل عبادة لها أركانها ولها وقتها.

ثم ما هو يتعلق بالدعاء ينظر إلى ما هو أجمع لقلبه وأقرب إلى خضوعه لله وإذا كانت القرءة أكثر خضوعًا اشتغل بها فهذا أفضل، وإن كان هناك دعاء أجمع لقلبه اشتغل بالدعاء.

وهكذا التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ولا حول ولا قوة إلا بالله يشتغل بها، في وقتها صباحًا ومساءً وفي سائر الأوقات التي شرع الله فيها الذكر فالقرآن له وقته وله محله والأذكار لها وقتها والدعوات لها وقتها وهذا مقام عظيم يحتاج إلى فقه وتوعية وتبصر فتضع كل شيء في موضعه، تضع كل عبادة في وقتها وفي محلها المناسب، وفق الله الجميع.

## الفصل الأول: في ذكر طرفي النهار

وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

والأصيل: قال الجوهري: هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أُصُلٌ وآصال وأصائل كأنه جمع أصيلة. قال الشاعر:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله ... وأقعد فِي أفيائه بالأصائل

ويجمع أيضًا على أصلان، مثل بعير وبُعران، ثم صغروا الجمع، فقالوا: أُصَيْلان. ثم أبدلوا من النون لامًا فقالوا أصيلال، قال الشاعر:

وقفت فيها أصيلالاً أسائلها ... أعيت جوابًا وما بالرَّبع من أحد

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر:٥٥]. فالإبكار: أول النهار، والعشي: آخره، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]. وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: أن من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي، أن المراد به: قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر.

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا رجلٌ قال مثلما قال أو زاد عليه**»[1].

* وفي صحيحه أيضًا عن ابن مسعود قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه**

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر. وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: أصبحنا وأصبح الملك لله»[(١)].

* وفي السنن عن عبد الله بن خُبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «قل». قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: «قل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[(٢)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وفي الترمذي أيضًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير»[(٣)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، والنسائي (٥٤٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٣).

(٤) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهذه الأحاديث والآيات في هذا الباب كلها تدل على شرعية الأذكار، فيستحب للمؤمن أن يبدأ نهاره بالأذكار، ويختمه بالذكر فيمسي ذاكرًا ويصبح ذاكرًا، يقول -جلَّ وعلا-: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]. ويقول -جلَّ وعلا-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

فالمؤمن يشتغل بذكر الله بكرة وأصيلاً، بعد الصبح قبل أن تطلع الشمس، وبعد طلوعها كل هذا بكرة كله ضحى وهكذا بعد الظهر، والعشي آخر النهار بعد العصر قبل الغروب، وأول الليل كلها أوقات ذكر ودعاء وتسبيح وتقديس.

ويقول النبي ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»

وقال ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

=

* وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار: اللهم

=

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «من قال في يومه مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب يعتقها، وكتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، وكانت حرزًا له من الشيطان حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من عمله».

وكان يعلم أصحابه إن أصبح وإن أمسى، يقول عند الصباح: «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر، وإذا أمسى يقول: أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر».

وهكذا إذا أصبح يعلم أصحابه أن يقولوا: «اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور». وعند المساء يقول: «اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير».

هذه الأذكار ينبغي على العبد المؤمن أن يكثر من هذه الأذكار ويحافظ عليها، وهكذا قرءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين، حين يصبح وحين يمسي بعد الفجر وبعد المغرب ثلاث مرات ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثلاث مرات.

وكذلك آية الكرسي بعد كل صلاة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ كل هذه مستحبة فيجب على المؤمن المحافظة عليها وإذا أكثر من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل في جميع الليل والنهار هذا فضل عظيم؛ لأن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، ويقول النبي ﷺ: «سبق المفردون؟» قالوا: يا رسول الله ما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»، والله لما عدَّ صفات المؤمنين قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن ختمه بقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، ونسأل الله للجميع التوفيق.

أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة»[(١)].

* وفي الترمذي عن أبي هريرة: أن أبا بكر الصديق قال لرسول اللهﷺ: مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: «قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»[(٢)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وفي الترمذي أيضًا عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات إلا لم يضره شيء»[(٣)]. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وفيه أيضًا عن ثوبان وغيره أن رسول اللهﷺ قال: «من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدﷺ نبيًّا، كان حقًّا على الله أن يرضيه»[(٤)]. وقال: حديث حسن صحيح[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨١٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٧٢)، والترمذي (٣٣٨٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٤، ٥٧٣٥).

(٥) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذه الأحاديث تتعلق بأذكار الصباح والمساء، وقد جاء بذلك أذكار كثيرة، وقد دل كتاب الله على شرعية ذلك، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]. وقال -جلَّ وعلا-: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق:٣٩-٤٠].

=

* وفي الترمذي أيضًا عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن محمدًا عبدك ورسولك. أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقه الله من النار»[١].

* وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن غنام أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد =

الذكر مشروع للمؤمن في جميع الأوقات، ولكن في أول النهار وأول الليل يتأكد ذلك حتى يختم نهاره بالذكر ويبدأ ليله بالذكر ويبدأ نهاره بالذكر.

ومن ذلك: سيد الاستغفار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» أنا أبوء: أنا أعترف وأقر، هذا الدعاء العظيم سيد الاستغفار إذا قاله العبد صباحًا صدقًا من قلبه ومات دخل الجنة، وإن قاله مساءً صدقًا من قلبه ومات دخل الجنة، ينبغي للمؤمن أن يحافظ على هذا الذكر العظيم وهذا الاستغفار، كذلك ما علمه النبي ﷺ الصدِّيق: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم». يقوله صباحًا ومساءً وعند النوم، وكلها أحاديث صحيحة يستعملها حين يصبح وحين يمسي وحين النوم.

وهكذا حديث عثمان بن عفان ﷺ: «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» ثلاث مرات صباحًا ومساءً تكفيه من كل شيء، حصن حصين ينبغي للمؤمن أن يأتيه.

كذلك: «رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً» صباحًا ومساءً، ويقول عند الشهادتين في الأذان، وفي الحديث الآخر: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً» وفي الحديث الآخر: «من قالها ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسي، دخل الجنة» فينبغي للمؤمن أن يستعمل هذا الذكر: «رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً» -عليه الصلاة والسلام-، ويقولها أيضًا عند الشهادتين، يقول عندها: «رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»، وفق الله الجميع.

(١) تقدم تخريجه (ص٥٣).

والشكر. فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»[1].

* وفي السنن وصحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لـم يكن النبيﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»[2]. قال وكيع يعني: الخسف.

* وعن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك. فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك؛ لكلمات سمعتهن من رسولﷺ من قالها أول النهار لـم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لـم تصبه مصيبة حتى يصبح: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان، وما لـم يشأ لـم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم»[3][4]. رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد (٤٧٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٥٩).

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٣٦-٨٣٧)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٨).

(٤) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالثناء على الله واللجأ إليه، والثناء عليه ﷻ بما هو أهله؛ فالله يحب من عباده أن يثنوا عليه ويحمدوه ويشكروه، ولهذا يقولﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر».

وقالﷺ: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

=

## الفصل الثاني: في أذكار النوم

* في الصحيحين عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «باسمك اللهم

=

وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» كل هذا يبين أن الله سبحانه يحب الثناء، ويحب الحمد.

ومن هذا: هذه الأحاديث؛ حديث: «من قال حين يصبح: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك، وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك» أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين؛ أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثًا، أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعًا: أعتقه الله من النار- يعني: ذلك اليوم- هذا فيه ثناء عظيم على الله -جلَّ وعلا-.

ومن أسباب العتق من النار كذلك: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر» هذا أيضًا من أسباب أداء الشكر، من قالها صباحًا؛ أدى شكر هذا اليوم، ومن قالها مساءً، أدى شكر هذه الليلة، فينبغي للمؤمن: الإكثار من هذه الأذكار التي فيها الثناء على الله -جلَّ وعلا-.

هكذا حديث أبي الدرداء وإن كان في سنده ضعف، لكنه ثناء على الله: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم» هذه الأذكار من أسباب الحفظ والسلامة والوقاية، وصاحبها حري بخير، وحري بالأجر العظيم، وحري بكل توفيق.

هكذا الحديث الرابع حديث ابن عمر الذي يقول في الصباح والمساء: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» هذا تعوذ عظيم ينبغي أن يداوم عليه صباحًا ومساءً. فهذا فيه طلب العافية من الله -جلَّ وعلا- وهو قادر على كل شيء، نسأل الله التوفيق والهداية.

أموت وأحيا. وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذي أحيانًا بعدما أماتنا وإليه النشور»[(١)].

* وفي الصحيحين أيضًا عن عائشة: «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[(٢)].

* وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة: أنه أتاه آت يحثو من الصدقة وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن -وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] حتى تختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب»[(٣)].

* وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده. أنها جرت لأبي الدرداء. ورواها الطبراني في معجمه: أنها جرت لأبي بن كعب.

* وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[(٤)]. الصحيح: أن معناها كفتاه من شر ما يؤذيه. وقيل: كفتاه من قيام الليل. وليس بشيء.

* وقال علي بن أبي طالب: «ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠١٠)، ومسلم (٨٠٧).

(٥) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالآداب الشرعية عند النوم واليقظة، أن الرسول ﷺ بعثه الله =

بالآداب الشرعية، في نومه ويقظته وفي صومه وفطره وفي سفره وإقامته وفي جميع أحواله -عليه الصلاة والسلام- فالله -جلَّ وعلا- علمه الآداب الشرعية، وأرشد إليها الأمة.
كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾. كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم باسمك نموت ونحيا». فموت الإنسان وحياته بيد الله -جلَّ وعلا- ولهذا يقول: «اللهم باسمك نموت ونحيا»، والنوم: نوع من الموت، واليقظة: نوع من الحياة، فالحياة حياة اليقظة من النوم، وحياة الآخرة، والموت كذلك، الموت الذي ينقل من هذه الدار الذي كتبه الله على بني آدم، والموت الثاني موت النوم، فالله -جلَّ وعلا- بيده هذا وهذا ﷻ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.
وقال -جلَّ وعلا-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ يعني: بالنوم.
ولهذا ينبغي على المسلم أن يقول حينما يأوي إلى فراشه: «اللهم باسمك أموت وأحيا» «اللهم باسمك أحيا وأموت». مثلما كان يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-.
وإذا استيقظ يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» يقولها: حينما يستيقظ، وكذلك عند النوم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» ويبدأ في النوم بالاضطجاع على الجنب الأيمن يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» ، «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وكان رسول الله ﷺ أيضًا يقول: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»
وكان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه أيضًا يجعل كفيه أمام فيه ويقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين، ثلاث مرات يمسح بها ما استطاع من بدنه يمسح بها رأسه ووجهه وما استطاع من بدنه ثلاث مرات. ينفث فيهما ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثلاث مرات يمسح بها صدره ووجهه ورأسه كما كان يفعل النبي -عليه الصلاة والسلام-.
وكذلك جاء عن النبي ﷺ أن: «من قرأ آية الكرسي لا يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح». إذا قالها عند النوم.
وكان أصل ذلك أن أبا هريرة ﷺ: «أتاه آت يحثو من الصدقة وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن -وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
=

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بِصَنِفَةِ إزاره ثلاث مرات، فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده. وإذا اضطجع فليقل: باسمك اللهم ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(١).

* وفي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي، ورد علي روحي، وأذن لي بذكره»(٢).

* وقد تقدم حديث علي ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة -رضي الله تعالى عنهما-: أن يسبحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبرا أربعًا وثلاثين. وقال: «هو خير لكما من خادم»(٣).

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه-: بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره.

* وفي سنن أبي داود عن حفصة أم المؤمنين: أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ثم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك». ثلاث مرات(٤).

---

=

هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] حتى تختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب». فكان الصحابة أحرص الناس على الخير يحبون الفائدة والعلم، فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي.

فالشيطان كذوب في شئونه كلها وهذا يفيد أن الشيطان قد يصدق لمصلحته.

فعليك بقراءة هذه الآية عند النوم، وكذلك آخر آيتين من سورة البقرة من قالها في ليلة كفتاه من كل سوء.

وهما: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ إلى آخر السورة وذلك في كل ليلة، وهذا فضل عظيم من الله.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٩٣)، ومسلم (٢٧١٤).

(٢) هذا الحديث ليس في الصحيحين أو أحدهما، وإنما أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧١٦).

(٣) تقدم تخريجه (ص١٠٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٥٦).

قال الترمذي: حديث حسن.

* **وفي صحيح مسلم** عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: **«الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»**[1].

* وفي صحيحه أيضًا عن ابن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: **«اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية»**. قال ابن عمر: سمعتهن من رسول الله ﷺ[2][3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٢).

(٣) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الأحاديث التي ذكرها في أذكار النوم واليقظة.

فالمؤمن يستحب أن يتأدب بالآداب الشرعية عند نومه وفي يقظته؛ لأن الشريعة الإسلامية جاءت بالآداب الشرعية في النوم واليقظة في الصباح والمساء عند الأكل والشرب وعند اللقاء إلى غير ذلك، فالمؤمن يتحرى الآداب الشرعية في جميع شئونه، ومن ذلك عند النوم، تقدم أن تضع جانبك الأيمن وهذا هو الأفضل يكون على طهارة وتقول: «باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

ويقول: «اللهم باسمك نحيا ونموت»، «باسمك أموت وأحيا».

«الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا»، فكم من الناس ليس له مأوى، ولكن المسلم فكفاه الله وآواه.

ويقول عند النوم: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» فيضع شقه الأيمن ويقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» ثلاث مرات.

وفي حديث أنس: «اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها، لك محياها ومماتها، فإن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها، اللهم إني أسألك العافية» كل هذا من الآداب الشرعية والأرواح كلها بيد الله -جلَّ وعلا-.

كما قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ هذا معنى الحديث: «اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية» وهكذا إذا جاء الإنسان إلى فراشه للنوم وإذا استيقظ من نومه: «الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي...» وأيضًا كما جاء عن النبي ﷺ أنه نصح عليًّا وفاطمة بالتسبيح والتحميد والتكبير، جاءت فاطمة تطلب خادمًا لعمل البيت، فلم تجد عنده
=

* وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات. غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا»[١].

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كل ذي شرٍّ أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر»[٢].

* وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول»[٣][٤].

---

=

خادمًا فأوصاها أن تقول عند النوم: «سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر أربعًا وثلاثين» فهذا خير لكم من الخادم، قالت فاطمة: استعملت هذا فلم أجد تعبًا بعد هذا، فالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل من أسباب القوة في الأعمال، فالعامل في عمله في بنائه يستعمل التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل كان عونًا له على أعماله فيجد في هذا نشاطًا وقوة في عمله، وهكذا عند النوم يقول: سبحان الله والحمد لله ثلاثًا وثلاثين مرة ويقول الله أكبر أربعًا وثلاثين ومرة، هكذا علم النبي ﷺ فاطمة وعليًا، وفق الله الجميع.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٩٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠).

(٤) قال العلامة ابن باز رحمه الله:

باسم الله، وصلى الله على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

=

=

أما بعد: هذه الثلاث أحاديث فيما يتعلق بأذكار النوم.

تقدم من ذلك جملة، يستحب أن يقول عندما يضطجع: «**اللهم باسمك أحيا وأموت**» وفي لفظة «**باسمك أموت وأحيا، اللهم باسمك وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**»، وهكذا يستحب «**أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**» وإن كان في سنده ضعف ولكن هو استغفار معروف وفيه توسل بالتوحيد، ويستحب أن يقول: «**أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**»، هذا التوسل بهذه الصيغة من أنفع الاستغفار ومن أنفع الدعاء وفيه وعد بالمغفرة وهو من أسباب الرحمة.

وتقدم أن كل الأحاديث التي فيها ذكر المغفرة كلها مقيدة باجتناب الكبائر؛ لأن الواجب على المؤمن أن يحذر كبائر الذنوب لأن الكبائر والإصرار على الذنوب من أسباب حرمان المرء ومن أسباب رد الدعاء ولهذا يقولﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما لم تغش الكبائر**»، وفي لفظ: «**إذا اجتنبت الكبائر**» والله سبحانه يقول: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٢١].

فتكفير السيئات بهذه الأذكار وبالصلوات وبالجمعة وبالصوم، وغير ذلك مقيدة بالكبائر فهو معلق تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه على قدر المعاصي التي يموت عليها ولم يتب كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ ثم قال -جلَّ وعلا-: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. إلا الشرك، أي: من لم يتب، أما من تاب فإن الله يغفر له ذنوبه جميعًا.

فالإنسان المؤمن يكون دائمًا يتحرى الأذكار الشرعية عند نومه وفي يقظته لأنها من أسباب المغفرة مع التوبة مع الحذر من المعاصي مع الإقلاع منها والندم على ما مضى منها يلزم التوبة وتجب عليه والله سبحانه يقول: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٢١]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]، ويقول النبيﷺ: «**التوبة تَجُبُّ ما قبلها**» أي: تزيل ما قبلها من الذنوب وتقضي عليه، ويقول النبيﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»، فالمؤمن يجتهد في التوبة إلى الله والحذر من الذنوب والمعاصي دائمًا وهو يحاسب نفسه كلما زلت قدمه ما ترك التوبة كلما فعل خطيئة رجع للتوبة والإصلاح.

ومن الدعاء المشروع عند النوم إذا أوى إلى فراشه يقول: «**اللهم رب السموات السبع رب العرش العظيم ربنا رب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي**

=

## الفصل الثالث: في أذكار الانتباه من النوم

* روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: اللهم اغفر لي. أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»[1].

* وفي الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أوى إلى فراشه طاهرًا، وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيرًا

=

شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء -فوق كل شيء-، وأنت الباطن فليس دونك شيء -يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء-، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» هذا الدعاء العظيم عند النوم وإذا دعا به في أي وقت في الصباح وفي المساء وفي جميع الأوقات وهو دعاء عظيم في كل الأوقات ولكن يستحب له أن يأتي به عند النوم، «اللهم رب السموات السبع رب العرش العظيم ربنا رب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» لأن الظاهر علا على الخلق فله العلو المطلق ﷻ فوق جميع خلقه فوق العرش ﷻ، وأما الباطن الذي لا يخفى عليه شيء ويعلم كل شيء ولا تخفى عليه خافية ﷻ وينبغي على المؤمن أن يلاحظ هذا الدعاء العظيم الذي هو من أنفع الدعاء ومن أعظم الدعاء.

وهكذا ما جاء في حديث البراء من شرعية الوضوء عند النوم وأن ينام على جنبه الأيمن وهو يضطجع ويقول: «اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت»، ويستحب أن تكون هذه آخر شيء يختم بها أذكاره ودعواته عند النوم ويستحب له أن ينام على وضوء.

(١) أخرجه البخاري (١١٥٤).

من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»[1]. حديث حسن.

* وفي سنن أبي داود عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلا أنت، سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب»[2][3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٩٦)

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦١)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٤٥).

(٣) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث الثلاثة فيما يتعلق من الاستيقاظ من النوم يستحب للمؤمن الإتيان بالآداب الشرعية عند نومه وعند يقظته وفي سائر أحواله؛ فالمؤمن يتحرى الآداب الشرعية في مجالسه وعند قيامه وقعوده وعند نومه وعند يقظته وفي غير ذلك لأنها كلها خير له في الدنيا والآخرة وهو مأمور بالتأسي بالنبي -عليه الصلاة والسلام- ويتحرى كل عمل صالح كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد:٢١]، ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣].

ومن ذلك أنه يستحب له إذا استيقظ من نومه يتحرك من النوم إذا استيقظ أن يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» ذكر عظيم بل أعظم الذكر، ويقول النبي ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، ويقول ﷺ: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» فإذا أتى بهذا الذكر ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيبت، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته.

وهذا خير عظيم ووعد عظيم ينبغي أن يتحراه إذا استيقظ كلما تحرك من النوم يقول هذا الدعاء سواء في أثناء النوم أو عند قيامه أو في آخر الليل يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» وهكذا في الحديث يعني: إذا أوى إلى فراشه طاهرًا وذكر الله كان هذا من أسباب إجابة الدعاء أي في أي وقت.

والمقصود أن ينام على ذكر وأن يأتي بالأذكار الشرعية وعلى خير عظيم يرجى له إجابة الدعاء، كما في الحديث إذا استيقظ يقول: «لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» يأتي بهذا الذكر الذي ذكرته هذا كله مستحب للمؤمن أن يتحرى هذه الأذكار في يقظته وفي نومه حتى يجتبى من الله بالفضل العظيم والخير الكبير فإنه سبحانه القائل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ
=

## الفصل الرابع: في أذكار الفزع في النوم والقلق

* روى الترمذي عن بريدة قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق. فقال النبي ﷺ: «إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يفرط علي أحد منهم، أو يبغي علي، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت»[1].

* وفي سنن أبي داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون». وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه[2][3].

=

لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].
دائمًا يتحرى الأذكار الشرعية والدعوات عند نومه وعند يقظته وتقدم أن قلنا: «باسمك ربي أحيا وأموت اللهم باسمك وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» ويقول عند اليقظة: «الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور، الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره» ويتحرى ما تيسر من الأذكار الواردة عند نومه وعند يقظته كل هذا من الآداب الشرعية ومن أسباب إجابة الدعاء ومن أسباب المغفرة، وفق الله الجميع.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٨٢٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠١): حسن لغيره.

(٣) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:
فهذه أذكار يقولها الإنسان عند الفزع والقلق وعدم النوم وفي أحاديثها وسندها ضعف ولكن معناها صحيح كلام طيب، إذا حصل له قلق وأرق وعدم الراحة في النوم يذكر الله ويسمي الله -جلَّ وعلا-
=

## الفصل الخامس: في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها

* في الصحيحين عن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ، وليتعوذ

=

ويأتي بالأحاديث الصحيحة: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» ، «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» وهذا مروي من طريق خالد بن الوليد، «اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يفرط علي أحد منهم أو أن يبغي، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، لا إله إلا أنت» هذا كله كلام صحيح طيب ولكن أصح منه ما ثبت في الحديث الصحيح: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، ومن قال: «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» ثلاث مرات في ليلة أو في يوم لم يقربه شيء. هذا من الأدعية والتعويذات الشرعية.

وهكذا في الحديث الثاني: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره» كلام صحيح وإن كان في سنده ضعف فإذا قال: «باسم الله أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» وأن يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»، وهذه تعويذات كلها طيبة وأصحها: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» و: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» و: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن» وكذلك «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء»، ثلاث مرات وآية الكرسي عند النوم وبعد كل صلاة، وكل هذا من أسباب العافية من كل سوء وهكذا قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين بعد كل صلاة وقراءة الثلاث سور عند النوم ثلاث مرات في الصباح والمساء، كل هذا من أسباب العافية من كل سوء والإجارة من كل بلاء فمن فعلها مخلصًا صادقًا واثقًا بربه، مطمئنًا إليه، حَسَن الظن به ﷻ، وفق الله الجميع.

بالله من شرها فإنها لن تضره إن شاء الله»[(١)].

* قال أبو قتادة: كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به، وليتفل عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى، فإنها لن تضره»[(٢)].

* وفي صحيح مسلم عن جابر، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاث مرات، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»[(٣)].

* ويذكر عن النبي: أن رجلاً قص عليه رؤيا فقال: «خيرًا رأيت، وخيرًا يكون». وفي رواية: «خيرًا تلقاه، وشرًّا توقاه. خيرًا لنا، وشرًّا على أعدائنا؛ والحمد لله رب العالمين»[(٤)(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٢٢٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٦٢).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٠٢)، وقال الألباني في تخريجه للكلم الطيب (٥٢): ضعيف جدًّا.

(٥) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث فيما يتعلق بالرؤيا الطيبة والمكروهة، بين النبي ﷺ أن المؤمن إذا رأى الرؤيا تعجبه فليحمد الله وليحدث بها من يحب؛ لأنها من فضل الله ومن البشارات وهي بشرى المؤمن كما في الحديث الصحيح: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة» وهي بشرى المؤمن في الدنيا فإذا رأى ما يحب، كأن يرى أنه دخل الجنة، أو أنه مع الأخيار والناس الطيبين، أو رأى أنه يقرأ القرآن، أو رأى أنه يصلي، أو رأى أنه يطلب العلم، أو رأى أنه يعود مريضًا، أو ما أشبه ذلك فليحدث بها من يحب، فإنها من الله وإنها صالحة، ولا حرج في التحديث بها، أما إذا رأى ما يكره، كأن يرى أنه مسلوب، أو مربوط، أو يراد قتله، أو ما أشبه ذلك، هذه من الشيطان فليتفل عن يساره ثلاث مرات ويقول: «أعوذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأيت» ثلاث مرات، ثم ينقلب إلى جنبه الآخر؛ فإنها لا تضره ولا يحدث بها أحدًا، هكذا السنة.

فالشيطان قد يأتي للإنسان يؤذيه فالرواية المشهورة «فإذا رأى ما يكره واستيقظ فليتفل عن يساره ثلاث مرات ويقول: أعوذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأيت» ثلاث مرات ثم ينقلب على جنبه الآخر فإنها
=

## الفصل السادس: في أذكار الخروج من المنزل

* في السنن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال -يعني: إذا خرج من بيته-: باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: كفيت وهديت ووقيت. وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد كفي وهدي ووقي؟!»[(١)].

* وفي مسند الإمام أحمد: «باسم الله آمنت بالله واعتصمت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله»[(٢)]. حديث حسن.

* وفي السنن الأربع عن أم سلمة قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيته إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضل، أو أَزل أو أُزل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهل علي»[(٣)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

## الفصل السابع: في أذكار دخول المنزل

* في صحيح مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم =

---

لا تضره، وورد عنه ﷺ بإسناد ضعيف أن رجلاً قص عليه رؤيا فقال: «خير لنا وشر على أعدائنا» فهذا حديث ضعيف بناءً على ما تقدم، وأنت أعلم برؤياك، فإن رأيت أن نفسك تكرهه واقشعرت منها فتعوذ بالله من شرها ومن الشيطان ثلاث مرات مع النفث وتنقلب على الجنب الآخر أما إن كانت رؤيا تسرك فاحمد ربك عليها وحدث بها من تحب، وفق الله الجميع.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤٧٣) من حديث عثمان بن عفان ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، قال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٦٠): حسن صحيح، ولكن قوله: «رفع طرفه». شاذ.

يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت. فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[(١)].

* وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا. ثم ليسلم على أهله»[(٢)].

* وفي الترمذي عن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك»[(٣)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٣٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٩٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٨): حسن لغيره.

(٤) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحديثان الأولان يدلان على شرعية هذا الذكر عند خروجه من منزله: «باسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل، أو أضل، أو أزل، أو أزل، أو أظلم، أو أُظلم، أو أجهل، أو يُجهل علي» يستحب هذا الذكر عند الخروج من المنزل للصلاة وغيرها، «باسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» وهذا أحسن متن ثبت عنه -عليه الصلاة والسلام- وروي: «باسم الله آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله» ولكن اللفظ الأول أثبت: «باسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي» وإن كانت نفس الزيادة ليست فيها: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي لساني نورًا، وفي عيني نورًا، وفي جسدي نورًا، وفي عظمي نورًا، وفي عصبي نورًا، ومن أمامي نورًا، ومن خلفي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا، وأعظم لي نورًا» هذا الشاهد عند الخروج في أي حال لكن يجوز عند الخروج للمسجد من أول «اجعل في قلبي نورًا» إلى آخره.

وإذا دخل المنزل يقول: «اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا» وليُسَمِّ الله عند الدخول، وعند الخروج، وعند الأكل، وعند الشرب ليطرد الشياطين هكذا السنة.

=

## الفصل الثامن: في أذكار دخول المسجد والخروج منه

* في صحيح مسلم عن أبي حميد -أو أبي أسيد- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»(١).

* وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم»(٢).

## الفصل التاسع: في أذكار الأذان

* في الصحيحين عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»(٣).

---

=

ولما كان مع النبي غلامه [عمر بن أبي سلمة] عند أم سلمة قال: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» فهو عَلَّم الجاهل ما ينبغي له عند الأكل والشرب وعند دخول المنزل والخروج حتى يتعلم الجميع، فإن الله -جلَّ وعلا- شرع لعباده أذكارًا في كل حال؛ فعند دخول المنزل يسمي الله، وعند أكله يسمي الله، وعند إتيانه أهله يسمي الله ويقول: «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» وعند الدخول: «اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا». ويسلم على أهله فإن البركة تحل عليه وعلى أهله، كيف حالكم؟ ويسألهم عن حالهم ويكون طيب الكلام طيب التحية مع أهله متواضعًا، وفق الله الجميع.

(١) أخرجه مسلم (٧١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣).

* وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[1].

* وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قال: أشهد أن محمدًا رسول الله. قال: أشهد أن محمدًا رسول الله. ثم قال: حي على الصلاة. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال حي على الفلاح. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: الله أكبر الله أكبر. قال: الله أكبر الله أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»[2][3].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٥).

(٣) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

فالحديثان السابقان يدلان على شرعية الذكر عند دخول المسجد، والخروج منه فعند الدخول يقول: «باسم الله اللهم صلِّ وسلم على رسول الله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم افتح لي أبواب رحمتك» ويقدم رجله اليمنى ويقول: « باسم الله اللهم صلِّ وسلم على رسول الله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم افتح لي أبواب رحمتك».

وعند الخروج يقدم رجله اليسرى ويقول: «باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم إني أسألك من فضلك اللهم أجرني من الشيطان، اللهم اعصمني من الشيطان».

وإذا سمع الشيطان هذا يقول للآخر: لقد حفظ مني سائر اليوم، فهذا التعوذ من أسباب السلامة من عدو الله ذلك اليوم.

فالمؤمن يضرع إلى الله ويدعو الله، ويدعو بهذه الأشياء قدر استطاعته.

وإذا سمع الأذان يقول مثلما يقول المؤذن إذا كبر نكبر، ويتشهد نتشهد، وفي حي على الصلاة وحي على الفلاح نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هكذا، ثم يقول بعدها: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فإذا قالها
=

* وفي صحيح البخاري عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[١].

* وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا. فقال رسول الله ﷺ: «**قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعطه**»[٢].

* وفي الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة**». قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «**سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**»[٣]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وفي سنن أبي داود عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثنتان لا تردان -أو:**

=

من قلبه صادقًا مخلصًا دخل الجنة، وهذا خير كثير وفضل عظيم ينبغي على المؤمن أن يحافظ على ذلك، وأن يحرص على أسباب الخير.

وفي الحديث الآخر يقول -عليه الصلاة والسلام-: «**... ثم صلوا عليَّ من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة......**» إلى آخر الحديث.

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة**».

فبعد هذا يأتي بالذكر والدعاء؛ فإنه حري بالإجابة ولا يقوله المؤذن في المكبر ولكن يقال له أغلق المكبر وتصلي على النبي صلاة خفيفة لا تتبعها الأذان، ويمكنك أن تسمع من بجوارك كما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يسمع من حوله وهذا كما أمر النبي ﷺ.

والإقامة كذلك لأنها أذان، ويشرع أن تقول عند الشهادتين رضيت الله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً، وفق الله الجميع.

(١) أخرجه البخاري (٦١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢٥٦): حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٩٧٨).

قلما تردان-: **الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يُلحِمُ بعضهم بعضًا»**[١][٢].

وفي سنن أبي داود عن أم سلمة قالت: علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب: «اللهم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٩).

(٢) **قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

هذه أذكار كلها تتعلق بالأذان والدعاء تقدم أن السنة أن الإنسان يقول مثل المؤذن، الأذان من أكثر القربات، وأفضل الأعمال كما قال رسول الله ﷺ: **«المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»** ويقول ﷺ: **«إنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا حجر ولا شجر إلا يشهد له يوم القيامة»** فالأذان له شأن، فيه المداومة على توحيد الله والإخلاص والدعوة إلى هذه الدعوة العظيمة التي هي أعظم العبادات من التوحيد.

والسنة لمن سمعه أن يجيبه لقوله ﷺ: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم قال: ثم سلوا الله الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»**.

وقال: «من حين يسمع النداء: **اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة»**.

فينبغي للعبد المؤمن أن يحافظ على هذا الذكر العظيم وهذه العبادة العظيمة يرجو ما وعد الله به أهله من الخير العظيم، وذلك بأن يدخل في شريعته ﷺ مع إعلان توحيده والدعوة إلى الإيمان والدعوة إلى سبيله وبهذا يعلم أن الدعاء بين الأذان والإقامة فيه فضل عظيم ولهذا قال: **«الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة»** فهذا من أوقات الإجابة.

فينبغي أن يتحرى الإنسان بين الأذان والإقامة الدعوات الطيبة والدعوة الجامعة، فهذا الوقت لا يرد أو قلما يرد الدعاء فيه.

فالمؤمن يتحرى الأوقات التي فيها الإجابة في آخر الليل في جوف الليل بين الأذان والإقامة بعد صلاة العصر يوم الجمعة وغيرها كل هذه أوقات يتحرى فيها الإجابة.

ثم المؤمن يحاسب نفسه أيضًا فعندها قد يمنع من الخير يمنع من الإجابة أو من دخول الجنة ويكون بسبب إصراره على المعاصي، فيكون مع دعائه بعيدًا عن المعاصي يحذر الإصرار عليها والبقاء عليها ويبادر بالتوبة الجازمة والإقلاع حتى تكون أعماله على أساس التوبة ويكون حريًّا بالإجابة والتوبة والسلامة، وفق الله الجميع.

هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وحضور صلواتك، فاغفر لي»[١].

* وفي سنن أبي داود عن بعض أصحاب النبيﷺ: أن بلالاً أخذ في الإقامة فلما أن قال: قد قامت الصلاة. قال النبيﷺ: «أقامها الله وأدامها»[٢].

فهذه خمس سنن في الأذان: إجابته، وقول: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدﷺ رسولًا حين يسمع التشهد، وسؤال الله تعالى لرسولهﷺ الوسيلة والفضيلة، والصلاة عليهﷺ، والدعاء لنفسه ما شاء.

* وعن سعد بن أبي وقاص، عن رسول اللهﷺ قال: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، غفر الله ذنوبه»[٣][٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٣٠)، وضعفه الألباني في المشكاة (٦٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٨)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٤١).

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٦).

(٤) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث والتي قبلها مما يتعلق بأذكار الأذان والإقامة، ويستحب للمؤمن إذا سمع المؤذن أن يقول مثلما يقول كما تقدم، إلا حي على الصلاة؛ فقد ثبت عن ابن عمر أنه كانﷺ يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله».

وفي حديث سعد أن النبيﷺ قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولاً؛ غفر الله ذنوبه».

وفي حديث جابر: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة».

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «ثم صلوا عليَّ، فإنه مَن صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

وهذا كله يدل على شرعية هذه الأذكار واستحبابها، أما حديث: «قد قامت الصلاة يقول: أقامها الله وأدامها» فحديث ضعيف وإنما يستكمل الإقامة ثم بعد الاستكمال يقول للناس: استووا تراصوا =

## الفصل العاشر: في أذكار الاستفتاح

* في الصحيحين أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد»(١).

* وفي سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ قال: «الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثًا. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه» قال: نفثه: الشعر، ونفخه: الكبر، وهمزه: الموتة(٢).

* وفي السنن الأربعة عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»(٣). وهو في صحيح مسلم عن عمر موقوف عليه(٤).

* وفي صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى

---

=

استقيموا لا تسبقوا الإمام، هكذا جاءت السنة ثابتة بعد الإقامة.

يأمرهم بالاستواء وسد الخلل وإكمال الصف الأول فالأول ثم يكبر للصلاة، فهذه هي السنة أما الحديث الذي ذكره في الإقامة فهو ضعيف وقد غفل عنه المؤلف رحمه الله.

وكذلك حديث: «اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وحضور صلواتك، فاغفر لي». في إسناده ضعف لكن هذا دعاء حسن. والله الموفق.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٦٤)، وضعفه في المشكاة (٨١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٧٧٥، ٧٧٦)، والترمذي (٢٤٢، ٢٤٣)، والنسائي (٨٩٩)، وابن ماجه (٨٠٤، ٨٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦٧).

(٤) أخرجه مسلم (٣٩٩).

الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

وكان إذا ركع يقول في ركوعه: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي».

وإذا رفع رأسه من الركوع يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد».

وإذا سجد يقول في سجوده: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين».

وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(١).

* وفي صحيح مسلم عن عائشة كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(٢).

* وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٠).

قيام السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت»[١][٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأحاديث الستة كلها تتعلق بأذكار الاستفتاح أول ما يبدأ الصلاة حينما يكبر التكبيرة الأولى يأتي بواحد من هذه الأذكار التي جاءت عن النبيﷺ وأقصرها وأسهلها على كل أحد: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» هذا أقصرها، كله ذكر، فإذا كبر التكبيرة الأولى قال: الله أكبر، يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك» هذا جاء في عدة أحاديث.

عن أبي سعيد عن عائشة وكان عمر يعلم الناس هذا الذكر، وكان أيضاًﷺ حينما يستفتح يقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد». قال له أبو هريرة: يا رسول الله، في سكوتك في الصلاة ما تقول؟ قال: أقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد».

وهذا من أصح الأحاديث وأثبتها عن النبيﷺ ، فمن يستفتح بهذا أو هذا كله طيب، واستفتاح آخر ثالث وهو ما رواه جبير بن مطعم: «يكبر ثلاثًا ويحمد ثلاثًا ويسبح ثلاثًا».

واستفتاح رابع: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لِمَا اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»، كان يستفتح بهذا آخر الليل، في صلاة التهجد -عليه الصلاة والسلام-، ولا بأس أن يستفتح به في جميع الصلوات « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لِمَا اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». وهذا من أجمع الاستفتاحات أيضًا.

ومنها استفتاح خاص: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن =

# الفصل الحادي عشر: في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين

* في السنن الأربعة عن حذيفة -رضي الله تعالى عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع: «سبحان ربي العظيم» ثلاث مرات، وإذا سجد قال: «سبحان ربي الأعلى» ثلاث مرات[1]. وفيه

=

صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»، وكان إذا ركع يقول في ركوعه: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي». وفي هذا يقول أنا من المسلمين، يقول الإنسان: أنا من المسلمين في هذا الدعاء.

واستفتاح سادس وهو: إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت».

هذا الاستفتاح العظيم الطويل، والمؤمن ما يتيسر له من هذا وأكثرها وأشهرها على كل حال: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك»، ثم يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ويقرأ الحمد ويقرأ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ومن همزه ونفخه ونفثه» فلا بأس، همزه: الصرع الموتة، نفثه: الشعر، نفخه: الكبر، هذه استفتاحات يقولها ﷺ مرة يأتي بهذا، ومرة يأتي بهذا، وكلها تؤدي إلى الله ﷺ ثم يقرأ الفاتحة وهذا في كل صلاة في النهار وفي الليل، وفق الله الجميع.

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢)، وأبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦٢)، دون التقيد بذكر العدد، وقد ورد مقيدًا عند ابن ماجه (٨٨٨)، وصححه الألباني بشواهده في تخريجه الكلم الطيب (٨٦).

حديث علي رضي الله عنه وقد سبق في الفصل قبله بطوله.

* **وفي الصحيحين** عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**»[١].

* **وفي صحيح مسلم** عنها رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»[٢].

* **وفي سنن أبي داود** عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»[٣].

* **وفي صحيح مسلم** عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «**اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[٤].

* **وفي صحيح البخاري** عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي يومًا وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: «**سمع الله لمن حمده**». فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. فلما انصرف قال: «**من المتكلم؟**» قال: أنا يا رسول الله. قال: «**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول**»[٥].

* **وفي صحيح مسلم** عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٨٧٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (٧٩٩).

(٦) أخرجه مسلم (٤٨٢).

* وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّه وجِلَّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسره**»[١].

* وقالت عائشة رضي الله عنها: افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[٢]. روى مسلم هذه الأحاديث.

* وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، واجبرني، وعافني، وارزقني**»[٣].

* وفي السنن أيضًا عن حذيفة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدتين: «**رب اغفر لي رب اغفر لي**»[٤].

## الفصل الثاني عشر: في أدعية الصلاة وبعد التشهد

* في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[٥].

* وفيهما أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات،**

(١) أخرجه مسلم (٤٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، وابن ماجه (٨٩٨)، وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٩٨): إسناده جيد.

(٤) أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١٠٦٩)، وابن ماجه (٨٩٧)، وصححه الألباني في الإرواء (٣٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم». فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: «إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف»[(١)].

* وقد تقدم في الصحيحين أن أبا بكر الصديق ﷺ قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[(٢)].

* وفي صحيح مسلم من حديث علي ﷺ في صفة صلاة رسول الله ﷺ وقد تقدم بطوله في الفصل العاشر.

* وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال لرجل: «كيف تقول في الصلاة؟» قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ. فقال النبي ﷺ: «حولها ندندن»[(٣)].

* وفي المسند والسنن عن شداد بن أوس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»[(٤)].

* وفي سنن النسائي: أن عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا فيها بدعوات وقال: سمعتهن من رسول الله ﷺ: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٣)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٧٩٢) عن بعض الصحابة، وابن ماجه (٩١٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٦٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤)، وأحمد (١٦٦٦٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٩٠).

الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»(١).

## الفصل الثالث عشر: في الأذكار المشروعة بعد السلام وهو إدبار السجود

* في صحيح مسلم عن ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله -ثلاثًا- وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»(٢).

* وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(٣).

* وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير -رضي الله تعالى عنهما-: أن رسول الله ﷺ كان يهلل دبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»(٤).

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

(٤) أخرجه مسلم (٥٩٤).

وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[١].

* وفي السنن عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «خصلتان -أو خلتان- لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشرًا، ويحمده عشرًا، ويكبره عشرًا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، ويكبر أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويسبح ثلاثًا وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف في الميزان». قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قالوا: يا رسول الله، كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: «يأتي أحدكم -يعني: الشيطان- في منامه فينومه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها»[٢].

* وفي السنن عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة[٣].

* وفي النسائي الكبير عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة لـم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[٤]. يعني: لـم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت.

وبلغني عن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: ما تركته عقيب كل صلاة إلا نسيانًا أو نحوه.

قلت: وقد بالغ أبو الفرج بن الجوزي في إدخاله هذا الحديث في الموضوعات.

وقال شيخنا أبو الحجاج المزي رَحِمَهُ اللَّهُ: إسناده على شرط البخاري.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠)، والنسائي (١٣٤٨)، وابن ماجه (٩٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٢٩٠٣)، والنسائي (١٣٣٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٩٥).

## الفصل الرابع عشر: في ذكر التشهد

* ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: علمني رسول الله ﷺ التشهد -وكفي بين كفيه- كما يعلمني السورة من القرآن: «التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»(١).

* وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول: «التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»(٢).

* وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أن النبي ﷺ علمهم التشهد: «التحيات الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»(٣).

* وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ في التشهد: «التحيات لله الصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»(٤).

* وروى أبو داود عن سمرة بن جندب: أما بعد أمرنا رسول الله ﷺ: «إذا كان في وسط الصلاة أو حين انقضائها فابدءوا قبل السلام فقولوا: التحيات الطيبات والصلوات والملك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٩٧١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

لله، ثم سلموا على اليمين، ثم سلموا على قارئكم وعلى أنفسكم»[1].

* وذكر مالك في الموطأ: أن عمر ﷺ كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول: قولوا: التحيات لله الزاكيات لله الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

فأي تشهد أتى به من هذه التشهدات أجزأه.

وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود، وذهب الشافعي إلى تشهد ابن عباس، وذهب مالك إلى تشهد عمر ﷺ، والكل كاف مجزئ .

## الفصل الخامس عشر: في ذكر الصلاة على النبي ﷺ

* في الصحيحين عن كعب بن عجرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[2].

* وفي الصحيحين أيضًا عن أبي حميد الساعدي: أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[3].

* وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «قولوا:

---

(١) أخرجه أبو داود (٩٧٥)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم»[1].

* وذكر ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن مسعود قال: «إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قال: فقالوا له: فعلمنا. قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[2].

## الفصل السادس عشر: في ذكر الاستخارة

* في صحيح البخاري عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر -ويسمي حاجته- خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به»[3].

* وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «من

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٠٦)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٣) أخرجه البخاري (١١٦٦).

سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله»[(١)].

* وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يقول: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره. وقد قال ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

* قال قتادة: «ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم».

## الفصل السابع عشر: في أذكار الكرب والغم والحزن والهم

* في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم»[(٢)].

* وفي الترمذي عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»[(٣)].

* وفيه أيضًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: «سبحان الله العظيم». وإذا اجتهد في الدعاء قال: «يا حي يا قيوم»[(٤)].

* وفي سنن أبي داود عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٥١)، وأحمد (١٤٤٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٣٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٥٦).

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

* وفي السنن أيضًا عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقولينهُنَّ عند الكرب -أو: في الكرب- الله الله ربي لا أشرك به شيئًا»[١]. وفي رواية: «أنها تقال سبع مرات».

* وفي رواية الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]. لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له»[٢].

وفي رواية له: «إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام»[٣].

* وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ما أصاب عبدًا هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي. إلا أذهب همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا»[٤].

## الفصل الثامن عشر: في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى

قال الله ﷻ عن نبيه نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

* وفي بعض المسانيد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٣٢).

(٣) تقدم تخريجه (ص١٣٢).

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[١].

* وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد حديثًا مرفوعًا إلى النبيﷺ: «من قرأ سورة الواقعة كل يوم لـم تصبه فاقة أبدًا»[٢].

## الفصل التاسع عشر: في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف من سلطانٍ وغيره

* في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى الأشعري أن النبيﷺ كان إذا خاف قومًا قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»[٣]. ويذكر عن النبيﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو: «اللهم أنت عضدي وأنت ناصري وبك أقاتل»[٤].

* وعنهﷺ: أنه كان في غزوة فقال: «يا مالك يوم الدين إياك أعبد وإياك أستعين». قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها[٥].

* وعن ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: «إذا خفت سلطانًا أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عز جارك، وجل ثناؤك»[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٢٩).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٩٨) من حديث ابن مسعود ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٧٣).

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٥٧).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨١٦٣)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٢٧).

(٦) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٤٤)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٩): ضعيف جدًا.

* وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ قالها إبراهيمﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمدﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ﴾ [آل عمران:١٧٣][1].

## الفصل العشرون: في الأذكار التي تطرد الشيطان

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان، وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه، ومن قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. كانت له حرزًا من الشيطان يومه كله.

وقد قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

* وكان النبي ﷺ يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه»[2]. وقال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

والأذان يطرد الشيطان كما تقدم.

وعن زيد بن أسلم أنه ولي معادن فذكروا كثرة الجن بها، فأمرهم أن يؤذنوا كل وقت، ويكثروا من ذلك، فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئًا.

* وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه قال: يا رسول الله إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي، فقال رسول اللهﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثًا». ففعلت ذلك، فأذهبه الله ﷻ عني[3].

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

* وأمر ابن عباس رجلاً وجد في نفسه شيئًا من الوسوسة والشك أن يقرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

ومن أعظم ما يندفع به شره قراءة المعوذتين وأول الصافات وآخر الحشر.

## الفصل الحادي والعشرون: في الذكر الذي تحفظ به النعم وما يقال عند تجددها

قال الله ﷻ في قصة الرجلين: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف: ٣٩]. فينبغي لمن دخل بستانه أو داره أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة، فإنه لا يرى فيه سوءًا.

* وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف : ٣٩]. فيرى فيها آفة دون الموت»**(١).

* وعنه ﷺ: أنه كان إذا رأى ما يسره قال: **«الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»**. وإذا رأى ما يسوءه قال: **«الحمد لله على كل حال»**(٢).

## الفصل الثاني والعشرون: في الذكر عند المصيبة

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

* ويذكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فإنها من المصائب»**(٣).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٣٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٢٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٥).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٦٩٣)، وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٤١): ضعيف جدًا.

* وقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها». قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرًا منه؛ رسول الله ﷺ[(١)].

* وروي أيضًا عنها رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال: لا تدعو على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون. ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه»[(٢)].

## الفصل الثالث والعشرون: في الذكر الذي يدفع به الدين ويرجى قضاؤه

* في الترمذي عن علي رضي الله عنه: أن مكاتبًا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني. فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل أحد دينًا أداه الله عنك، قل: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»[(٣)]. وقال الترمذي: حديث حسن.

## الفصل الرابع والعشرون: في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما

* في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعيذكما

(١) أخرجه مسلم (٩١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٥).

بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»[١].

* وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغًا بفاتحة الكتاب فجعل يتفل عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبة ...» الحديث[٢].

* وفي الصحيحين عن عائشة ﷺ: أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا -ووضع سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض ثم رفعها- وقال: «باسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى بها سقيمنا، بإذن ربنا»[٣].

* وفي الصحيحين أيضًا عنها ﷺ: أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»[٤].

* وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص ﷺ: أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال النبي ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[٥].

* وفي السنن عن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يشفيك. إلا عافاه الله تعالى»[٦].

* وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٢١٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٠٢).

(٦) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٨).

والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ»[١].

## الفصل الخامس والعشرون: في ذكر دخول المقابر

* في صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[٢].

* وفي سنن ابن ماجه عن عائشة قالت: فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فَرَطٌ وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم»[٣].

## الفصل السادس والعشرون: في ذكر الاستسقاء

قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح:١٠-١١].

* عن جابر بن عبد الله قال: أتت النبي ﷺ بواكٍ فقال: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا، مريئًا مريعًا، نافعًا غير ضار، عاجلاً غير آجل» فأطبقت عليهم السماء[٤].

* وعن عائشة قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يومًا يخرجون فيه، فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ﷻ، ثم قال: «إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله ﷻ أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم. ثم قال:

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠١٣): ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٤٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٧٠).

(٤) أخرجه أبو داود (١١٦٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغًا إلى حين». ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس فنزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله ﷻ سحابة فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله»[(١)].

* وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو: كان رسول الله ﷺ إذا استسقى قال: «اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت»[(٢)].

* وقال الشعبي: خرج عمر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار، فقالوا: ما رأيناك استسقيت. فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يُستنزَل بها المطر. ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠-١١]. ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣] الآية».

## الفصل السابع والعشرون: في أذكار الريح إذا هاجت

* قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الريح من روح الله تعالى، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله من خيرها، واستعيذوا بالله من شرها»[(٣)]. رواه أبو داود.

* وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني

(١) أخرجه أبو داود (١١٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.
(٢) أخرجه أبو داود (١١٧٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.
(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به»[١].

* وفي سنن أبي داود عن عائشة أيضًا رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا رأى ناشئًا في أفق السماء ترك العمل -وإن كان في صلاة- ثم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من شرها». فإن أمطرت قال: «اللهم صيبًا هنيئًا»[٢].

## الفصل الثامن والعشرون: في الذكر عند الرعد

* كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته[٣].

وعن كعب أنه قال: من قال ذلك ثلاثًا عوفي من ذلك الرعد.

* وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»[٤].

## الفصل التاسع والعشرون: في الذكر عند نزول الغيث

* في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا،

---

(١) أخرجه مسلم (٨٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٩)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٥٦).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١٨٦٩)، وصححه الألباني في تخريج الكلم (١٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٥٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٢١).

**فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب»**[١].

وقد قيل: إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب.

* وفي صحيح البخاري عن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «**صيبًا نافعًا**»[٢].

* وفي صحيح مسلم عن أنس ﵁ قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ قال: «**لأنه حديث عهد بربه**»[٣].

## الفصل الثلاثون: في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها

* في الصحيحين عن أنس قال: دخل رجل المسجد يوم جمعة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**». قال أنس: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**». قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣٢).

(٣) أخرجه مسلم (٨٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

## الفصل الحادي والثلاثون: في الذكر عند رؤية الهلال

* عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لِمَا تحب وترضى، ربنا وربك الله»[1].

* وفي سنن أبي داود عن قتادة أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، آمنت بالله الذي خلقك» ثلاث مرات. ثم يقول: «الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا»[2].

## الفصل الثاني والثلاثون: في الذكر للصائم وعند فطره

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم»[3]. حديث حسن.

* وروى ابن ماجه عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد»[4].

* قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو -رضي الله تعالى عنهما- إذا أفطر يقول: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي»[5].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٥٦)، وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٦٢): صحيح بشواهده.
وأخرجه الترمذي (٣٤٥١)، وأحمد (١٤٠٠)، والدارمي (١٦٨٨) من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ، دون لفظة: «والتوفيق لما تحب وترضى». وانظر السلسلة الصحيحة (١٨١٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٢)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٥٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وانظر: السلسلة الصحيحة (١٧٩٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩٦٥).

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٥٨٢).

* ويذكر عن النبيﷺ أنه كان إذا أفطر قال: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت»[١].

ومن وجه آخر: «اللهم لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم»[٢].

## الفصل الثالث والثلاثون: في أذكار السفر

* روى الطبراني عن النبيﷺ أنه قال: «ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرًا»[٣].

* وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيﷺ أنه قال: «من أراد سفرًا فليقل لمن يخلف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه»[٤].

* وفي المسند أيضًا عن [ابن] عمر، عن النبيﷺ قال: «إن الله إذا استودع شيئًا حفظه»[٥].

* وقال سالم: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[٦].

* وفي وجه آخر: «كان النبيﷺ إذا ودع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يد النبيﷺ ...» وذكر تمام الحديث. قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٨) عن معاذ بن زهرة الضبِّي، أنه بلغه أن النبيﷺ قال:.... فذكره. وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن (٢/ ١٨٥) من حديث ابن عباس ﷺ، وضعفه الألباني في الإرواء (٩١٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٤٢٤) عن المطعم بن مقدام -مرسلاً، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٥٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٨٢٥)، وأحمد (٨٩٧٧)، وحسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٦٨).

(٥) أخرجه أحمد (٥٥٧٣)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٦٩).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٤٤٣)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٧٠).

(٧) أخرجه الترمذي (٣٤٤٢)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٧٠).

وقال في الحاشية: لكن جملة الأخذ باليد لها شواهد من حديث أنس وغيره، كما حققته في الصحيحة (٢٤٨٥). اهـ

* وقال أنس ﷺ: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفرًا فزودني. فقال: «**زودك الله التقوى**». قال: زدني. قال: «**وغفر ذنبك**»، قال: زدني. قال: «**ويسر لك الخير حيثما كنت**»[1]. قال الترمذي: حديث حسن.

* وعن أبي هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أريد أن أسافر فأوصني. قال: «**عليك بتقوى الله ﷻ، والتكبير على كل شرف**». فلما ولى الرجل قال: «**اللهم اطوِ له البعد، وهون عليه السفر**»[2]. قال الترمذي: حديث حسن.

## الفصل الرابع والثلاثون: في ركوب الدابة والذكر عنده

* قال علي بن ربيعة: شهدت علي بن أبي طالب ﷺ أتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله. فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله. ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٣-١٤]. ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات. ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات. ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك فقيل: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكت؟ فقال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلتُ ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ فقال: «**إن ربك ﷻ يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي. يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري**»[3]. رواه أهل السنن وصححه الترمذي.

* وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ﵄: أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا، ثم قال: «﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٣-١٤]. **اللهم إنَّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى،**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٤٥) -واللفظ له-، وابن ماجه (٢٧٧١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٦٩).

ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل». وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»(١).

* وفي وجه آخر: «كان رسول الله ﷺ وأصحابه ﭬ إذا علوا الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبحوا»(٢).

## الفصل الخامس والثلاثون: في ذكر الرجوع من السفر

* قال عبد الله بن عمر: كان رسول الله ﷺ إذا قفل من حجٍّ أو عمرةٍ أو غزوٍ يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»(٣). رواه البخاري ومسلم.

## الفصل السادس والثلاثون: في الذكر على الدابة إذا استصعبت

* قال يونس بن عبيد: ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣]. إلا وقفت بإذن الله تعالى.

* قال شيخنا -قدس الله روحه-: وقد فعلنا ذلك فكان كذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٩٩) من ابن عمر ﭭ، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤).

## الفصل السابع والثلاثون: في الدابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

* عن ابن مسعود ﷺ: عن رسول الله ﷺ قال: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادِ: يا عباد الله احبسوا، فإن لله ﷻ حاضرًا سيحبسه»[(١)].

## الفصل الثامن والثلاثون: في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

* عن صهيب ﷺ أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها، وشر ما فيها»[(٢)]. رواه النسائي.

## الفصل التاسع والثلاثون: في ذكر المنزل يريد نزوله

* قالت خولة بنت حكيم ﵂: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لـم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»[(٣)]. رواه مسلم.

* وعن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يا أرضُ

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٠٤)، وانظر: السلسلة الضعيفة (٦٥٥).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠١٠٠)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد»[١].

رواه أبو داود.

## الفصل الأربعون: في ذكر الطعام والشراب

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال عمر بن أبي سلمة ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني، سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[٢]. متفق عليه.

* وقالت عائشة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: باسم الله أولَه وآخرَه»[٣]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وقال أمية بن مخشي ﷺ: كان رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يأكل، فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: «باسم الله أوله وآخره» فضحك النبي ﷺ ثم قال: «ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما في بطنه»[٤]. رواه أبو داود.

* وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»[٥]. رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس ﷺ.

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٣)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨)، وابن ماجه (٣٢٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨١).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٧٦٨)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٨٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

* **وقال أبو هريرة:** «ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه»(١). متفق عليه.

* وعن وحشي: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله. إنا نأكل ولا نشبع. قال: «**فلعلكم تفترقون؟**» قالوا: نعم. قال: «**فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه**»(٢). رواه أبو داود.

* عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل أو شرب فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة. غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٣). قال الترمذي: حديث حسن.

* وعن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**»(٤). رواه أبو داود والترمذي.

* **وذكر النسائي:** عن رجل خدم النبي ﷺ أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول: «**باسم الله**». وإذا فرغ من طعامه قال: «**اللهم أطعمتَ وسقيتَ، وأغنيتَ وأقنيتَ، وهديتَ واجتبيتَ، فلك الحمد على ما أعطيتَ**»(٥).

* **وفي صحيح البخاري** عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنًى عنه ربنا**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٠٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وحسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٨٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٥٠)، والترمذي (٣٤٥٧)، وابن ماجه (٣٢٨٣)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٨٩).

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦٨٩٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

## الفصل الحادي والأربعون: في ذكر الضيف إذا نزل بقوم

* عن عبد الله بن بسر قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي، فقربنا إليه طعامًا ثم أُتي بشراب، فقال أبي: ادع الله لنا. فقال: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم»(١). رواه مسلم.

* وعن أنس: أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»(٢). رواه أبو داود.

* وعن جابر قال: صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبي ﷺ طعامًا، فدعا النبي ﷺ وأصحابه، فلما فرغوا قال: أثيبوا أخاكم. قالوا: يا رسول الله ﷺ وما إثابته؟ قال: «إن الرجل إذا دُخل بيته فأُكل طعامه وشُرب شرابه فدعوا له فذلك إثابته»(٣). رواه أبو داود.

## الفصل الثاني والأربعون: في السلام

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٤). متفق عليه.

* وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٥). رواه أبو داود.

* وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: «ثلاث من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٥٤)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٩٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٥٣)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣).

وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»[١]. ذكره البخاري.

* وقال عمران بن حصين: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم. فرد عليه، ثم جلس. فقال النبي ﷺ: «عشر». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فرد عليه، فجلس. فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فرد عليه، فجلس فقال: «ثلاثون»[٢]. قال الترمذي: حديث حسن.

* وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام**»[٣]. قال الترمذي: حديث حسن.

* وخرج أبو داود عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم**»[٤].

* وقال أنس: «مر النبي ﷺ على صبيان يلعبون فسلم عليهم»[٥] حديث صحيح.

* وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة**»[٦]. حديث حسن.

## الفصل الثالث والأربعون: في الذكر عند العطاس

* قال أبو هريرة: عن النبي ﷺ: «**إن الله يحب العطاس: ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًا على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله. وأما التثاؤب فإنما هو**

(١) أخرجه البخاري تعليقًا، كتاب: الإيمان، باب: إفشاء السلام من الإسلام، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٩)، وحسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٩٧)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٢١٠)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٦) أخرجه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٣).

من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه»[(١)]. رواه البخاري.

* وعنه أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»[(٢)]. رواه البخاري.

* وفي لفظ أبي داود: «الحمد لله على كل حال»[(٣)].

* وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه»[(٤)]. رواه مسلم.

## الفصل الرابع والأربعون: في ذكر النكاح والتهنئة به، وذكر الدخول بالزوجة

* قال عبد الله بن مسعود: علمنا رسول الله ﷺ خطبة النكاح: «الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

* وفي رواية زيادة: «[أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٣٣)، وصححه الألباني في الإرواء (٧٨٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]»[١]. رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذي: حديث حسن.

* وعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال: **«بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»**[٢]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: **«إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادمًا فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك»**[٣]. رواه أبو داود.

* وفي الصحيحين عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: **«لو إن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لـم يضره شيطان أبدًا»**[٤].

## الفصل الخامس والأربعون:
## في الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد

* يذكر: أن فاطمة -رضي الله تعالى عنها- لما دنا ولادها أمر النبي ﷺ أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيها فتقرأا عليها آية الكرسي و: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١١٨)، والترمذي (١١٠٥)،والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجه (١٨٩٢)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٠٦)، ما عدا الزيادة التي بين معقوفتين، فقال: ضعيفة؛ تفرد بها رجل مجهول. اهـ

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٠٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (٢٢٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤١).

(٤) تقدم تخريجه (ص٨٥).

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤و٥٥]. إلى آخر الآيتين، وتعوذانها بالمعوذتين[١].

* وقال أبو رافع: «رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة»[٢]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* ويذكر عن الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى لـم تضره أم الصبيان»[٣].

* وقالت عائشة: «كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم»[٤]. رواه أبو داود.

* وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «إن النبي ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه، ووضع الأذى عنه والعق»[٥]. قال الترمذي: حديث حسن.

* وقد سمى النبي ﷺ ابنه إبراهيم، وإبراهيم بن أبي موسى، وعبد الله بن أبي طلحة، والمنذر بن أبي أسيد قريبًا من ولادتهم.

* وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»[٦]. ذكره أبو داود.

* وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب أسمائكم إلى الله ﷻ: عبد الله وعبد الرحمن»[٧].

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦١٩)، وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢١٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)، والترمذي (١٥١٤)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢١١).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٧٨٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٢)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٨١): موضوع.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٦، ٢١٤٧)، وأبو داود (٥١٠٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٨٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٩٤٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٣٦).

(٧) أخرجه مسلم (٢١٣٢).

* وعن أبي وهب الجشمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء، وإن أحب الأسماء إلى الله ﷻ: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث وهمام، وأقبحها: حرب ومرة»[١]. رواه أبو داود والنسائي.

* وغير النبي ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة، فغير اسم برة إلى زينب، وغير اسم حزن إلى سهل، وغير اسم عاصية فسماها جميلة، وغير اسم أصرم إلى زرعة، وسمى حربًا: سلمًا، وسمى المضطجع: المنبعث، وسمى أرضًا يقال لها عفرة: خضرة، وشعب الضلالة سماه: شعب الهدى، وبنو الزِّنية سماهم: بني الرشدة.

## الفصل السادس والأربعون: في صياح الديكة والنهيق والنباح

* في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانًا، وإذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا»[٢].

* وفي سنن أبي داود عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن، فإنهن يرين ما لا ترون»[٣]. رواه أبو داود.

## الفصل السابع والأربعون: في الذكر يطفأ به الحريق

* يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإن التكبير يطفئه»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٠)، وأحمد (١٨٥٥٣)، وقال الألباني في ضعيف سنن أبي داود: صحيح دون قوله: «تسموا بأسماء الأنبياء»، الصحيحة (٩٠٤، ١٠٤٠).اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٣)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٢١).

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٩٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٤).

## الفصل الثامن والأربعون: في كفارة المجلس

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك»(١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* وفي حديث آخر: «أنه إن كان في مجلس خير كان كالطابع له، وإن كان في مجلس تخليط كان كفارة له»(٢).

* وفي السنن عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة»(٣).

* وعن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»(٤). قال الترمذي: حديث حسن.

## الفصل التاسع والأربعون: فيما يقال ويفعل عند الغضب

قال الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٩٢).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥١٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٨).

* وقال سليمان بن صرد: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ذهب عنه ما يجد»(١). متفق عليه.

* وعن عطية بن عروة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»(٢). رواه أبو داود.

* وفي حديث آخر: «أنه أمر من غضب إذا كان قائمًا أن يجلس، وإن كان جالسًا أن يضطجع»(٣).

## الفصل الخمسون: فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

* عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من رأى مبتلًى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء»(٤). قال الترمذي: حديث حسن.

## الفصل الحادي والخمسون: في الذكر عند دخول السوق

* عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»(٥). رواه الترمذي.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٦١٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٨٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٥١٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٨٢) من حديث أبي ذر ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٤٨).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٣١).

* وعن بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: «باسم الله، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب بها يمينًا فاجرة، أو صفقة خاسرة»[(١)].

## الفصل الثاني والخمسون: في الرجل إذا خدرت رجله

* عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد؛ فكأنما نشط من عقال[(٢)].

* وعن مجاهد رحمه الله قال: خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال: اذكر أحب الناس إليك، فقال: محمد ﷺ، فذهب خدره[(٣)].

## الفصل الثالث والخمسون: في الدابة إذا عثرت

* عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته، فقلت: تعس الشيطان. فقال: **«لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي، ولكن قل: باسم الله. فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب»**[(٤)].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٢٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥٥٣٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٦٤)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٣٦).

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة(١٦٨)، وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٣٧): موضوع.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٠١).

## الفصل الرابع والخمسون: فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له، ماذا يقول؟

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: أهديت لرسول الله ﷺ شاة فقال: «اقسميها». وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول: ماذا قالوا؟ تقول الخادم: قالوا: بارك الله فيكم. تقول عائشة رضي الله عنها: وفيهم بارك الله، نرد عليهم مثل ما قالوا، ويبقى أجرنا لنا [(١)].

وقد روي عنها في الصدقة مثل ذلك.

## الفصل الخامس والخمسون: فيمن أميط عنه أذى

* عن أبي أيوب رضي الله عنه: أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى، فقال رسول الله ﷺ: «**مسح الله عنك يا أبا أيوب ما تكره**»[(٢)].

وفي لفظ آخر: «**لا يكن بك السوء يا أبا أيوب**»[(٣)].

* وعن عمر رضي الله عنه: أنه أخذ عن رجل شيئًا، فقال الرجل: صرف الله عنك السوء. فقال عمر رضي الله عنه: صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا، ولكن إذا أخذ عنك شيئًا فقل: أخذت يداك خيرًا[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٧٧)، وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٣٩): إسناده جيد.

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٨٠)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٤٠).

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة(٢٨١)، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٤٠).

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٨٢)، وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٤١): «حديث موقوف جيد الإسناد؛ لولا أن راويه عبد الله بن بكر الباهلي لم يدرك عمر بن الخطاب؛ فهو مرسل ...» اهـ

## الفصل السادس والخمسون: في رؤية باكورة الثمرة

* قال أبو هريرة ﷺ: كان الناس إذا رأوا الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فقال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدِّنا». ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان[(١)]. رواه مسلم.

## الفصل السابع والخمسون: في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

* وقال النبي ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»[(٢)]. حديث صحيح.

* ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله فليبرك عليه، فإن العين حق»[(٣)].

ويذكر عنه ﷺ أنه قال: «من رأى شيئًا فأعجبه فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله»[(٤)].

* ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئًا بعينه قال: «اللهم بارك لنا فيه ولا تضره»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٧٢).

(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٠٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٥٨٨).

(٥) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٠٧) من حديث حزام بن حكيم -مرسلاً، وضعفه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٤٦).

* وقال أبو سعيد: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما»[١]. قال الترمذي: حديث حسن. ورواه ابن ماجه في سننه.

## الفصل الثامن والخمسون: في الفأل والطيرة

* قال النبي ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة وأصدقها الفأل**». قيل: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الحسنة يسمعها الرجل**»[٢]. وكان النبي ﷺ يعجبه الفأل، كما كان في سفر الهجرة، فلقيهم رجل فقال: «ما اسمك؟» قال بريدة. قال: «**بَرَدَ أمرنا**»[٣].

* وقال ﷺ: «**رأيت في منامي كأني في دار عقبة بن رافع وأتينا من رطب ابن طاب، فأولتها: الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة لنا في الآخرة، وأن ديننا قد طاب**»[٤].

* **وأما الطيرة**؛ فقال معاوية بن الحكم: قلت: يا رسول الله منا رجال يتطيرون. قال: «**ذلك شيء تجدونه في صدوركم، فلا يصدنكم**»[٥]. وهذه الأحاديث في الصحاح.

* وعن عقبة بن عامر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة فقال: «**أصدقها الفأل، ولا تَرُدُّ مسلمًا، وإذا رأيتم من الطيرة شيئًا تكرهونه فقولوا: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجه (٣٥١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٥٦) من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٤٥٠)، وانظر تعليقه عليه في تخريج الكلم الطيب (٢٥٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٧٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٥) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٦) أخرجه أبو داود (٣٩١٩)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

## الفصل التاسع والخمسون: في الحمام

* يذكر عن أبي هريرة أنه قال: «نعم البيت الحمام يدخله المسلم، إذا دخله سأل الله الجنة، واستعاذ به من النار»[1].

## الفصل الستون: في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه

* في الصحيحين عن أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[2].

وزاد سعيد بن منصور: «باسم الله»[3].

* وفي مسند الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث»[4].

* وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول: اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم»[5].

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣١٤) مرفوعًا. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٠٣) موقوفًا، بلفظ: «نعم البيت الحمام، يذهب الضبية -يعني: الوسخ- ويذكر النار».
وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٥٤) عن المرفوع: ضعيف جدًّا، وقال عن الموقوف: رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي هريرة نحوه. اهـ

(٢) أخرجه البخاري(١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١١).

(٤) أخرجه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، وأحمد (١٨٨٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٦٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٣٥٤).

* وفي الترمذي عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول: باسم الله»[١].

* وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال: «غفرانك»[٢]. رواه الإمام أحمد وأهل السنن.

* وفي سنن ابن ماجه عن أنس ﷺ: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني»[٣].

## الفصل الحادي والستون: في الذكر عند إرادة الوضوء

* ثبت في النسائي عنه ﷺ أنه وضع يده في الجفنة، وقال: «توضئوا باسم الله»[٤].

* وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ في حديثه الطويل، وفيه: «يا جابر ناد بوضوء». فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ وفيه فقال: «خذ يا جابر فصب علي، وقل: باسم الله». فصببت عليه وقلت: باسم الله. فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ[٥].

* وفي المسند والسنن من حديث سعيد بن زيد عن النبي ﷺ: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»[٦]. قال البخاري: هذا أحسن شيء في هذا الباب.

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»[٧]. رواه الإمام أحمد وأبو داود.

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٠٦)، وابن ماجه (٢٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦١١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٠١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٧٨).

(٤) أخرجه النسائي (٧٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

(٥) أخرجه مسلم (٣٠١٤).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٥)، وابن ماجه (٣٩٨)، وأحمد (١٦٢١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٧٣).

(٧) أخرجه أبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٩)، وأحمد (٩١٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥١٤).

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»[١].

## الفصل الثاني والستون: في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

* روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ -أو: فيسبغ- الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»[٢].

* وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين»[٣].

وفي بعض طرقه ذكرها أبو داود والإمام أحمد: «فأحسن الوضوء. ثم رفع نظره إلى السماء فقال ...» وذكره[٤].

* وفي لفظ للإمام أحمد: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»[٥].

وفي سنن النسائي عن أبي سعيد الخدري قال: «من توضأ ففرغ من وضوئه فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، طبع عليها بطابع، ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة»[٦]. هكذا رواه من قول أبي سعيد ﷺ.

ورواه: بقي بن مخلد في تفسيره من حديثه أيضًا مرفوعًا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧)، وأحمد (١٠٩٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٩) وأحمد (١٢٢)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٥) أخرجه أحمد (١٣٣٨١) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٥٧٨).

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٩٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٧٠).

* وأما الأذكار التي يقولها العامة على الوضوء عند كل عضو فلا أصل لها عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة الأربعة، وفيها حديث كذب على رسول الله ﷺ.

## الفصل الثالث والستون: في ذكر صلاة الجنازة

* في صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظت من دعائه وهو يقول: «**اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر**». قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت؛ لدعاء رسول الله ﷺ. وفي لفظ: «**وقه فتنة القبر وعذاب النار**»[(١)].

* وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده**»[(٢)].

* وفي سنن أبي داود أيضًا عن واثلة بن الأسقع قال: صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول: «**اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فَقِهِ من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحمد، اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم**»[(٣)].

* وسأل مروان أبا هريرة: كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلي على الجنازة؟ قال: «**اللهم أنت ربها، وأنت خلقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر له**»[(٤)]. رواه الإمام أحمد وأبو داود.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٤٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٠٠)، وأحمد (٧٤٢٨)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

## الفصل الرابع والستون: في الذكر إذا قال هجرًا أو جرى على لسانه ما يسخط ربه عَزَّوَجَلَّ

* ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف منكم فقال في حلفه: واللات والعزى. فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعالَ أقامرك. فليتصدق»[1]. فكل من حلف بغير الله فهذه كفارته؛ لأن النبي ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[2]. حديث صحيح، وكفارة الشرك: التوحيدُ؛ وهو كلمة لا إله إلا الله.

ومن قال: تعال أقامرك. فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار: وهو إخراج المال في أحق مواضعه؛ وهو الصدقة.

* وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: حلفت باللات والعزى -وكان العهد قريبًا- فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «قد قلت هجرًا، قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وانفث عن يسارك سبعًا، ولا تعد»[3].

## الفصل الخامس والستون: فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يذكر عن النبي ﷺ أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول: «اللهم اغفر لنا وله»[4]. ذكره البيهقي في كتاب الدعوات الكبير، وقال: في إسناده ضعف.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٤).

(٣) أخرجه النسائي (٣٧٧٧)، وابن ماجه (٢٠٩٧)، وأحمد (١٥٩٣)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٤) أخرجه الحارث في مسنده (١٠٨٠- زوائد الهيثمي)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٩١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٤١٩٠): موضوع.

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء -هما روايتان عن الإمام أحمد- وهما: هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لابد من إعلامه وتحلله؟

والصحيح: أنه لا يحتاج إلى إعلامه، بل يكفيه الاستغفار له وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

والذين قالوا: لابد من إعلامه. جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينهما ظاهر، فإن في الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها.

وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك، ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع؛ فإنه يوغر صدره، ويؤذيه إذا سمع ما رمي به، ولعله ينتج عداوته، ولا يصفو له أبدًا، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم لا يبيحه، ولا يجوزه فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها، والله تعالى أعلم.

## الفصل السادس والستون: فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوف القمر

* في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكبروا، وتصدقوا**»[1].

* وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بينا أنا أرمي بأسهم لي في حياة رسول الله ﷺ إذ كسفت الشمس، فنبذتهن، وقلت: لأنظرن ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوف الشمس اليوم، فانتهيت إليه وهو رافع يديه يسبح ويحمد ويهلل ويدعو، حتى حسر عن الشمس، فقرأ بسورتين وركع ركعتين[2].

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٣).

* والنبي ﷺ أمر في الكسوف بالصلاة والعتاقة والمبادرة إلى ذكر الله تعالى والصدقة، فإن هذه الأمور تدفع أسباب البلاء.

## الفصل السابع والستون: فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به

* ذكر علي بن المديني، عن سفيان، عن ابن عجلان، عن عمر بن كثير بن أفلح قال: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئًا: «قل: اللهم رب الضالة، هادي الضالة، تهدي من الضلالة، رد علي ضالتي بقدرتك وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك».

* وفي وجه آخر: سئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الضالة فقال: «يتوضأ، ويصلي ركعتين، ثم يتشهد، ثم يقول: اللهم راد الضالة، هادي الضلالة، تهدي من الضلالة، رد علي ضالتي بعزتك وسلطانك، فإنها من فضلك وعطائك»[1]. قال البيهقي: هذا موقوف، وهو حسن.

وقد قيل: إن من ضاع له شيء فقال: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه رد علي ضالتي. ردها الله تعالى عليه.

## الفصل الثامن والستون: في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة

* روى الأعمش، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو قال: «رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه»[2]. رواه أبو داود.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠٢)، والترمذي (٣٤١١)، والنسائي (١٣٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٨٩).

* وروت يُسَيرة -إحدى المهاجرات- رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن فتنسين الرحمة، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات»(١).

## الفصل التاسع والستون:
## في أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن

* ثبت في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع -لا يضرك بأيهن بدأت-: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٢).

* وفي أثر آخر: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٣).

* وفي أثر آخر: «أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده»(٤).

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٥).

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»(٦).

(١) أخرجه أبو داود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٧١١) -واللفظ له-، وابن ماجه (٣٨١١) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٧٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

## الفصل السبعون: في الذكر المضاعف

* في صحيح مسلم عن جويرية أم المؤمنين ﵂: أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعدما أضحى وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم. فقال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**»[1].

* وعن سعد بن أبي وقاص: أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به، فقال: «**ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل، فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»[2]. رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن.

## الفصل الحادي والسبعون: فيما يقال لمن حصل له وحشة

* روينا في معجم الطبراني عن البراء بن عازب: أن رجلاً اشتكى إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال: «**قل: سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح، جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت**» فقالها الرجل، فأذهب الله عنه الوحشة[3].

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠٠)، والترمذي (٣٥٦٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢١٥٥).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٢٤)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨٧٧): منكر.

## الفصل الثاني والسبعون: في الذكر الذي يقوله أو يقال له إذا لبس ثوبًا جديدًا

* عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه قميصًا أو إزارًا أو عمامة يقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له».

قال أبو نضرة: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى أحدهم على صاحبه ثوبًا قال: تُبْلَى ويخلف الله تعالى[1]. ذكره البيهقي.

* **وعن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة. غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[2].**

## الفصل الثالث والسبعون: فيما يقال عند رؤية الفجر

* روى ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال: «**سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا فأفضل علينا عائذًا بالله من النار**». يقول ذلك ثلاث مرات، ويرفع بها صوته[3]. هذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٤٢): حسن لغيره.

وقال عقبه: زيادة: «وما تأخر». منكرة لا شاهد لها. اهـ

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٨)، دون قوله: «يقول ذلك ثلاث مرات...» إلخ.

## الفصل الرابع والسبعون: في التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

فنهى سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين: لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه.

* وقال النبيﷺ: «وإياك واللو: فإن اللو تفتح عمل الشيطان»[(١)].

* وقال أبو هريرة: قال النبيﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[(٢)]. رواه مسلم.

* وعن عوف بن مالك: أن النبيﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبنا الله ونعم الوكيل. فقال النبيﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس: فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»[(٣)].

فنهى النبيﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه، وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه، فإن أعجزه القضاء قال: حسبي الله ونعم الوكيل. فإذا قال: حسبي الله بعد تعاطي ما أمر به من الأسباب، قالها وهو محمود، فانتفع بالفعل والقول، وإذا عجز وترك الأسباب وقالها، قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله ﷻ، فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٤١٦٨) واللفظ له.

(٢) انظر التخريج السابق.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٢٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٥٩).

## الفصل الخامس والسبعون: في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لا غنى للمرء عنها

* قالت عائشة: «كان النبي ﷺ يحب الجوامع من الدعاء، ويَدَعُ ما بين ذلك»[(١)].

* وفي المسند والنسائي وغيرهما: أن سعدًا سمع ابنًا له يقول: اللهم إني أسألك الجنة وغرفها وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وأغلالها وسلاسلها. فقال سعد ﷺ: لقد سألت الله خيرًا كثيرًا، وتعوذت من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء**». ويحسبك أن تقول: «**اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمتُ منه وما لـم أعلم**»[(٢)].

* وفي مسند الإمام أحمد وسنن النسائي عن ابن عباس قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكارًا، لك ذكارًا، لك رَهَّابًا، لك مخبتًا، إليك أواهًا منيبًا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة صدري**»[(٣)]. هذا حديث صحيح.

* وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: كنت أخدم النبي ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٨٦)، وفي آخره: «وإن حسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٧١).

(٣) أخرجه أبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٦٣)، ومسلم (١٣٦٥)، وهذا اللفظ عند البخاري، ولم يرد عند مسلم.

* وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم ﷺ، عن النبيﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها»(١).

* وفي الصحيحين عن عائشة ﵂ أن رسول اللهﷺ كان يدعو في صلاته: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم». فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟! قال: «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف»(٢).

* وفي صحيح مسلم عن ابن عمر ﵄ قال: كان من دعاء النبيﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفُجاءة نقمتك، ومن جميع سخطك»(٣).

* وفي الترمذي عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أسأل؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»(٤). قال الترمذي: حديث صحيح.

* وفي مسند الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار، وسلوا الله المعافاة، فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين خيرًا من المعافاة»(٥).

* وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر، عن النبيﷺ قال: «ما سئل الله ﷻ شيئًا أحب إليه من أن يُسأل العافية»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٣)، ومسلم (٥٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٢٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٩)، وأحمد (١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٧٢).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٥١٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٢٠).

* وذكر الفريابي في كتاب الذكر من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الدعاء أفضل؟ قال: «**تسأل الله العفو والعافية، فإذا أعطيت ذلك فقد أفلحت**»[(١)].

* وفي الدعوات للبيهقي عن معاذ بن جبل قال: مر رسول الله ﷺ برجل يقول: اللهم إني أسألك الصبر، قال: «سألت الله البلاء، فسل العافية». ومر برجل يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة. فقال: «وما تمام النعمة؟» قال: سألت وأنا أرجو الخير. قال له: «**تمام النعمة: الفوز من النار، ودخول الجنة**»[(٢)].

* وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلم من أسلم أن يقول: «**اللهم اهدني، وارزقني، وعافني، وارحمني**»[(٣)].

* وفي المسند عن بسر بن أرطاة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة**»[(٤)].

* وفي المسند وصحيح الحاكم عن ربيعة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «**ألظوا بـ: يا ذا الجلال والإكرام**»[(٥)]؛ أي: الزموها وداوموا عليها.

* وفي صحيح الحاكم أيضًا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لهم: «**أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء؟** قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «**قولوا: اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(٦)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٢)، وابن ماجه (٣٨٤٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٩٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٢٧)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٤١٦، ٤٥٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٧).

(٤) أخرجه أحمد (١٧١٧٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠٩٤).

(٥) أخرجه أحمد (١٧١٤٣)، وأخرجه الترمذي (٣٥٢٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٥٠).

(٦) أخرجه أحمد (٧٩٢٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١).

* وفي الترمذي وغيره: أن النبيﷺ أوصى معاذًا أن يقولها دبر كل صلاة[١].

* وفي صحيحه أيضًا عن أنس قال: كنا مع النبيﷺ في حلقة، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد تشهد ودعا، فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبيﷺ: **«لقد سألت باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»**[٢].

* وفي المسند وصحيح الحاكم أيضًا عن شداد بن أوس ﷺ قال: قال لي رسول اللهﷺ: **«يا شداد، إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»**[٣].

* وفي الترمذي: أن حصين بن المنذر الخزاعي ﷺ قال له النبيﷺ: **«كم تعبد إلهًا؟»** قال: سبعة: ستة في الأرض، وواحدًا في السماء. قال: **«فمن تعد لرغبتك ورهبتك؟»** قال: الذي في السماء. قال: **«أما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك»**. فلما أسلم قال: يا رسول الله، علمني الكلمتين. قال: **«قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي»**[٤]. حديث صحيح.

* وزاد الحاكم في صحيحه: **«اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على أرشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت، وما أخطأت وما تعمدت، وما علمت وما جهلت»**[٥]. وإسناده على شرط الصحيحين.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٤)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٤١).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٦٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٢٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٠٩٨).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٩١).

* وفي صحيح الحاكم عن عائشة قالت: دخل علي أبو بكر رضي الله عنه فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه؟ قلت: ما هو؟ قال: «كان عيسى بن مريم ﷺ يعلمه أصحابه، قال: لو كان على أحدكم جبل ذهب دينًا، فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه: اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمني، فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»[1].

* وفي صحيحه أيضًا عن أم سلمة عن النبي ﷺ: هذا ما سأل محمد ربه: «اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتني، وثقل موازيني، وحقق إيماني، وارفع درجتي، وتقبل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة. آمين.

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه، والدرجات العلا من الجنة آمين.

اللهم إني أسألك خير ما آتي، وخير ما أفعل، وخير ما بطن، وخير ما ظهر، والدرجات العلا من الجنة آمين.

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكرى، وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتنور لي قلبي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة. آمين.

اللهم إني أسألك أن تبارك لي في نفسي، وفي سمعي، وفي بصري، وفي روحي، وفي خَلقي، وفي خُلقي، وفي أهلي، وفي محياي، وفي مماتي، وفي عملي، وتقبل حسناتي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة آمين»[2].

* وفي صحيحه أيضًا من حديث معاذ قال: أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس، ثم خرج فصلى بنا فخفف في صلاته، ثم انصرف أقبل علينا بوجهه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٦)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١١٤٣): موضوع.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠١).

فقال: «على مكانكم أخبركم ما بطأني عنكم اليوم، إني صليت في ليلتي هذه ما شاء الله، ثم ملكتني عيني فنمت، فرأيت ربي -تبارك وتعالى- فألهمني أن قلت: اللهم إني أسألك الطيبات، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني، وإذا أردت في خلقك فتنة فنجني إليك منها غير مفتون، اللهم وأسألك حبك، وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك».

ثم أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «تعلموهن وادرسوهن فإنهن حق»[1]. ورواه الترمذي والطبراني وابن خزيمة وغيرهم بألفاظ أخر.

* وفي صحيح الحاكم أيضًا عن ابن عباس قال: كان النبيﷺ يدعو: «اللهم قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف علي كل غائبة لي بخير»[2].

* وفيه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وارزقني علمًا تنفعني به»[3].

* وفيه أيضًا عن عائشة أن رسول اللهﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمدﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدًا»[4].

* وفيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير، فقال له: «إني أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمن وترغب إليه فيهن، وتدعو بهن في الليل والنهار، قل: اللهم إني

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٢٦).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٥١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٤٧).

أسألك صحة في إيمان، وإيمانًا في حسن خلق، ونجاحًا يتبعه فلاح، ورحمة منك وعافية، ومغفرة منك ورضوانًا»[١].

* وفيه أيضًا عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر لا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الغنى، ومن فتنة الفقر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، اللهم نقِّ قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم بَعِّد بيني وبين خطيئتي كما بَعَّدت بين المشرق والمغرب»[٢].

* وفي مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم أيضًا عن عمار بن ياسر ﷺ: أنه صلى صلاة أوجز فيها، فقيل له في ذلك، قال: لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق؛ أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[٣].

* وفي صحيح الحاكم أيضًا عن ابن مسعود قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار»[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٤)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٩١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٨٦١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٥)، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٠٦).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٨٤).

* وفيه أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو: «اللهم احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تشمت بي عدوًّا حاسدًا، اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك»[١].

* وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن أشاء أزاغه». وكان رسول الله ﷺ يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، والميزان بيد الرحمن ﷻ يرفع أقوامًا، ويخفض آخرين إلى يوم القيامة»[٢]. حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم في صحيحه.

* في صحيح الحاكم أيضًا عن ابن عمر: أنه لم يكن يجلس مجلسًا -كان عنده أحد أو لم يكن- إلا قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك، وارزقني من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا، وبارك لي في سمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، اللهم اجعل ثأري على من ظلمني، وانصرني على من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا مبلغ علمي، اللهم لا تسلط علي من لا يرحمني.

فسئل عنهن ابن عمر فقال: كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه»[٣].

والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، ملء سمواته وملء أرضه وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد، حمدًا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى، عدد ما حمده الحامدون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون.

وصلى الله على خاتم أنبيائه ورسله، وخيرته من بريته، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتح أبواب الهدى، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٩٩)، وأحمد (١٧١٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٩).

العزيز الحميد، الذي بعثه للإيمان مناديًا، وإلى الصراط المستقيم هاديًا، وإلى جنات النعيم داعيًا، وبكل معروف آمرًا، وعن كل منكر ناهيًا فأحيا به القلوب بعد مماتها، وأنارها به بعد ظلماتها، وألف بينها بعد شتاتها.

فدعا الله ﷻ على بصيرة من ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله تعالى حق جهاده، حتى عُبِد الله وحده لا شريك له، وسارت دعوته سَيْرَ الشمس في الأقطار، وبلغ دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار، وصلى الله ﷻ وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرَّف بالله تعالى ودعا إليه، وسلم تسليمًا.



# الفهرس

❊ ❊ ❊

# صلاة الجماعة

تأليف

سماحة الشيخ العلامة الإمام
عبد العزيز بن عبد الله بن باز


دار الاستقامة


# شرح
# نظم الورقات
## في أصول الفقه

شرح
فضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

طبعة مخرجة الأحاديث

دار الاستقامة


الدار
العالمية للتجليد
على النادى
٦٩٩٠٥٧٠
٠١٠٦٧١٠٠٤٦




شرح
الوابل الصيب
من الكلم الطيب
دار الاستقامة
للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية - القاهرة
تليفون : ٠١٢٧٤٨٣٢٦٣ - ٠١٠٤١١٧٠٢٠
email:zahran_75@yahoo.com